3

نحو موسوعة علمية عربية في
الثقافة الجنسية والنفسية

سيكولوجيا الحب والحرمان

إعداد : كايد الشايب



نحو موسوعة علمية عربية في الثقافة الجنسية والنفسية

سيكولوجية الحب والحرمان

306.8
شاي

الشايب، كايد

سيكولوجية الحب والحرمان / إعداد كايد الشايب

عمان: دار فضاءات، 2003.

ر.إ. : 2956/ 12/2002

الواصفات الزواج / الأسرة

تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية المتسلسل2956/ 12/2002

سيكولوجية الحب

الطبعة الأولى

2002م

إعداد

كايد الشايب

دار فضاءات للنشر والتوزيع

ثم تطرقنا إلى الحب والتوافق في الزواج، والتوافق النفسي والجنسي واللذان لا ينفصلا في وحدتهما.

لقد حاولنا أن نكون واقعيين، بعيدين عن المثاليه المُهلكه، موضحين ضرورة تركيزنا في البيت والمدرسة، على أن للجنس أخلاقيات وأن أخلاقيات الجنس أو القيمة الجنسية، ليست إلا واحدة من الأخلاقيات والقيم العديدة في الحياة لا بد لها من قيم من نوع ما، وليست القيمة الجنسية أو الأخلاقيات العاطفية إلا مجالاً من مجالاتها وليست كل المجالات.

الجوع العاطفي والجوع الجنسي

هو **الجوع الوجداني أو النفسي** الذي يدفع إلى أن يسعى الإنسان إلى أن ينال محبة وعطف المحيطين به، ومهما يعطونه من هذه المحبة وذاك العطف فانه يستزيدهم فلا يشبع، فهو دائما جوعان عاطفيا، وإذا لم يحصل على ما يريد فهو المكتئب والقلق والمضطرب. ولعل الجوع العاطفي اظهر ما يكون **عند الأطفال** الذين يعانون **الحرمان العاطفي**، ولا يلقون العناية من الأم لسبب أو لاخر، وتعوزهم الحياة العائلية ودفء العلاقات الأسرية.

ومن داب الجائع عاطفيا أن يبحث عما يسدّ جوعه، يسيء الاختيار فيقع على **إخوان السوء**، وتكون له وشائج قد ترضيه بعض الشيء. وقد يلجا الجائع عاطفيا في سبيل لفت انتباه من حوله إلى وسائل لا يرتضونها. وقد يجعله جوعه العاطفي عدوانيا وأنانيا، ويحول بينه وان يتفهم ظروف الناس وحقيقة قدراتهم على العطاء.

وقد يدفع الجوع العاطفي إلى ما يسمى **التسول العاطفي**، وهو استجداء عواطف الناس، ويكون عند البعض منذ الصغر. **والطفل** الذي يتسول عواطف أمه، أو **الطفلة** التي تتسول عواطف ابيها، لايفرق أيهما بين التسول المادي والتسول العاطفي، ويطلبان دائما أن يكونا إلى جوار الأبوين، وان تعطيه الأم مثلا نفسها وجسمها ووقتها وانتباهها، وان ترضعه من حنانها ولا يرتوي أبدا وهو يريد أبدا أن يمتلكها، ويسعى لان تمتلكه، فهي له لا يشاركه فيها أحد، وهو أيضا لها بلا منازع.

ويشب على هذا الحال فيكون دابة أن يتسول عواطف الناس وخاصة النساء. وإذا كان امرأة فأنها تتسول عواطف الرجال، وحالها أو حاله معهم حال **الرضيع**، فكل الناس عندها أو عنده **أب أو أم**، وتعاملهم على هذا الأساس، فإذا لم تجد منهم ما يرضيها ثارت وكأنها تثور على أبيها، أو كأنه يثور على امه، **فهو** يتوقع منهم الكثير، ويعرف كيف يبتز هذا الكثير منهم، والطريقة التي تؤثر فيهم فيعطونه ما يريد.

وطريقة المتسول العاطفي تختلف مع النساء عنها مع الرجال، بل وتختلف في كل مرة ومع كل شخص بحسب الظروف واتجاهات هذا الشخص. وهو مع **النساء قد** يغريهن بنعومة ألفاظه ومعسول كلامه ومسارعته إلى تلبية ما يطلبنه وتوفره على خدمتهن، وله من شكله وسمات وجهه ما يجعلهن يملن إليه. وسحنته هزيلة وبنيته غالبا ضعيفة، وملامحه تغري بالركوب إليه. وعموما فالمتسول العاطفي **نوعان، فهو** أما **السلبي** الذي يأخذ وليس عنده ما يعطيه، واما **الإيجابي** الذي يسعى سعيا لينال هذا العطف ويجهد في سبيل ذلك بما يقدم من خدمات أو ينسجه من حكايات. **والأول** واهن واستجداؤه للعواطف صامت، ولربما بصفة قول البعض عنه انه **مسكين**، فإذا تحدث فهو المغلوب على أمره، والضائع الذي يستحق الرحمة والعطف. وهو المستجدي، وكان دائما كذلك منذ طفولته. **والثاني** قوي وحساس بالنسبة لأمزجة الآخرين ومشاعرهم، وخاصة إذا كان هؤلاء ممن يمكن أن يردونه

ويرفضون تقربه، وقد ينال منهم بعض الأذى ماديا أو أدبيا، وقلق هذا النوع من المتسولين عاطفيا، والذي يدفعهم إلى التعجيل بالتقرب من الاخرين، قد يجعل محاولتهم تبدو غريبة لا يفهمها المحيطون بهم وقد تتسبب لهم في بعض المشاكل وتترتب عليها بعض الماسي.

والصورة الإكلينيكية التي عليها المتسول عاطفيا، وتاريخه الانفعالي، يجزمان بأنه ضحية **الحرمان العاطفي**، وانه وهو صغير قد نشا محروما من أمه بشكل أو بآخر. ويتحدث بعض العلماء عما يسمونه **متلازمة الحرمان**، وهي مجموعة الأعراض المتقاربة التي تكون بهذا الشخص والتي توصف بأنها تشوهات تصيب شخصيته. وكانت هناك دراسات عديدة على **أطفال المؤسسات والملاجئ**، ويجمع المختصون على انه كلما كان حرمان الطفل من أمه في **سن مبكرة**، كلما كان ذلك اضر بشخصيته، وتترتب عليه نتائج خطيرة في المستقبل، ومن الأمثال الشعبية أن **اليتيم الحقيقي هو فاقد الأم**. والطفل الذي يحرم المحبة بشكل عام يمرض ويصيبه **الدنف** أو الهزال. وقد تكون الام موجودة ولكنها لا توليه رعايتها، أو مشغولة بنفسها دونه.

والطفل ابتداء من **الشهر السادس** يكون إحساسه بالحرمان، وتتولد لديه استجابة حزن يطلق عليها بعضهم اسم **اكتئاب الانفصال**، ومن أعراضه السهوم وعدم التجاوب مع حوله، وبطئ الاستجابة

للمنبهات والحركة، والانفعال بالبكاء والعزوف عن الطعام واضطراب النوم. وقيل أن الطفل الذي يدوم انفصاله عن الام لاكثر من **ثلاثة شهور**، من الصعب علاجه من أثار الحرمان العاطفي الذي عاناه، حتى بعد أن يعود إلى أمه ويوصف الطفل إكلينيكيا بأنه **منسحب ومهزول عاطفيا**، ويستمر معه الاكتئاب إلى الشيخوخة. وقد يجعله الحرمان من الام، أو الحرمان مما توفره له الام، من هدهدة وتنبيه للحواس، ومناغاة سمعية، وإشباع للحاجات واخصها الحاجة إلى الحب وعدم إشباع هذه الحاجة الأخيرة يولد لديه الجوع العاطفي يجعله ذلك أميل إلى الاكتئاب في مستقبل حياته، ويعرضه للإصابة بمختلف الاعصبة والذهانات، وقد يدفع به إلى الجناح. وهناك اتجاه يجعل أصول الاكتئاب من المراحل الأولى لحياة الشخص، وينسبه أساسا لحقيقة العلاقة بين الطفل وأمه. ويعتمد النجاح في **العلاقات الشخصية**، واخصها العلاقة بين الزوجين، على ما كان بين الوالدين وأطفالهم. وتنعكس علاقة الطفل بأمه على علاقته فيما بعد وعندما يكبر **بزوجته**. وثبت من الدراسات النفسية أن القدرة على أن نعطي ونأخذ في الحب، تبدأ من الطفولة وتنمو معنا بالتدريب، وان الشخص الذي يعاني الحرمان العاطفي في صغره لابد أن يجد صعوبات في التوافق في علاقاته بالناس، وخاصة عندما يتزوج. وامثاله غالبا يلجأون إلى الزواج المبكر كطريقة للتعويض عن بؤسهم في الطفولة، ودفاعا عن أنفسهم من القلق، وحماية من التهديد الدائم

الخـارجي. ولربمـا يشـفيهم مـن مخـاوفهم أن يجـدوا تعاطفـا مـن الزوجـه، وتفهمـا لحاجـاتهم، وعندئـذ فقـد يكـون سـلوكهم في الـزواج ايجابيـا، ويستطيعون أن يعطوا مثلما يأخذون.

ويعرف علماء النفس **الحاجة إلى الحب** بأنها دافع يميل بكل منا إلى أن تكون له علاقة حميمة بأخر يبادله المحبة ويفهمه ويتجاوب معه، وهي حاجة أي أنها شيء نولد به وليست لها أسباب فسيولوجية، وتظهر فيما نبدية أو نتلقاه من معاملة طيبة وحنان ورعاية وحدب، أو قـد تظهـر في حـرارة اللقـاء أو السـلام باليـد، وتـنعكس ملامحنـا سـرورا وحبـورا وكلامـا، وقـد تعـبر عنهـا بالتقبيـل والأحضـان، وقـد تزيـد بنـا انفعالاتنا فتجيش من خلال الدموع.

ومـن رأي بعـض علمـاء الـنفس أن **الحاجـة إلـى الحـب أو المحبـة** هـي في الأصـل حاجـة لان يكـون إلى جوارنـا مـن يشـبع فينـا حاجات أخرى، هي حاجات حسية تتعلق بالحواس كلها، وان **الجوع العاطفي** هو لذلك **جوع للمثيرات**، وان التعلق بالأم هو من ثم شيء طبيعي، لأنها الأقدر على إشباع هذا الجوع بما تقدمه من ربت وهدهده ومناغاة واحضان وتقبيل وتغذية واخراج ولعب الخ، فإذا كبرنا فانه من الطبيعي كذلك أن تكون **الزوجة** هي الأقدر على أن تحل محل الام في اغلب ما سبق، بالإضافة إلى إشباع الجوع الجنسي. **والإشباع العاطفي أشمل من الإشباع الجنسي**، لأنه يعني بالإضافة إلى الناحية الجنسية

مسائل أخرى كالتفهم والعطف والعون والتشجيع الخ. ومن رأي **فرويد واتباعه** أن التعلق بالأم من قبل الطفل أنها تشبع عنده حاجاته الأساسية. ومن أقوالهم **الطفل يحب أمه لانه يحب اللبن**، وهم يقولون أن المحبة والكراهية مسائل ليست فطرية ولكنها تترتب على إشباع أو عدم إشباع للحاجات الأساسية.

وللحاجة إلى الحب **شقان**، **الأول** هو الحاجة إلى أن **نتلقى** الحب، **والثاني** هو الحاجة أن **نعطي الحب**، غير أننا نحتاج زمنيا أولا إلى أن نتلقى الحب، لأننا نبدا أطفالا لا نستطيع أن نعتمد على أنفسنا وليست لدينا القدرة على العطاء، فإذا ما بدأنا نعي ونفهم كان باستطاعتنا أن نهب القبلات وان نعبر بالأحضان، وان نربت أيضا على أيدي الكبار أو وجوههم. والذي لاشك فيه أن الطفل الذي يعامله ذووه بمحبة هو الأقدر على أن يعطي المحبة في صغره ثم في كبره، وان العدوانية والعزلة لا يمارسها الأطفال إلا لانهم يعاملون بجفاء من الأهل. وتتأصل فيهم تلك الميول وينشا الصغير عاجزا عن تكوين الصداقات، وغير قادر على أن تكون له بالناس علاقات حميمة من أي نوع.

ولم يكن من السهل إجراء التجارب العلمية لمعرفة تأثير الحنان في الصغر على الأطفال، ولكن أمكن الاستعاضة **بالقرود الصغيرة** لأنها أشبه بصغار الإنسان، ويمكن أن تتعاطى الحليب أيضا من البزازة. واستعيض عن الام بمانيكانات أي دُمَى لامهات تشبه القرود ولكنها

من الأسلاك العارية أو من الأسلاك المكسوه بالإسفنج، لتُعطي النعومة، وليمكن تسخينها لتكون دافئة. وكانت القرود الصغيرة عندما يحزنها أمر تعدو إلى المانيكانات الإسفنج وتتجنب المانيكانات من السلك، وذلك طبعا لان بها ما يجعلها فعلا اقرب الى الأمهات. وأيضا عندما كانت البزازات توضع بين ذراعي المانيكانات الأسلاك فان القردة كانت لا تبقى مع هذه المانيكانات اكثر من وقت الرضاعة ثم تذهب إلى المانيكانات الأخرى لتحتضنها وتظل معها كل الوقت أو معظمه، وذلك يثبت أن **الدافع إلى الحب مستقل عن الدافع لتحصيل التغذية**. وأيضا فان صغار القردة عندما توضع في حجرات مغلقة وحدها فأنها كانت تقبع في الأركان خائفة، فإذا وضعت معها المانيكانات السلكية فان خوفها لايزايلها، فاذا حللنا محلها المانيكانات الإسفنج أسرعت إليها وتعلقت بها، والأكثر من ذلك أنها بعد ذلك تتركها وقد اكتسبت ثقة في نفسها لتكتشف المحيط الجديد حولها. وتؤكد هذه التجربة أن المانيكانات الإسفنجية كانت اكثر من مجرد مكان ترتاح القرود فيه، وانما هي كالأم الآدمية ملجأ ومصدر أمن وأمان كلما خاف الطفل أو واجهته مخاطر أو أعوزته حاجة. ومع ذلك فإن هذه القرود، حتى التي ربيت في أحضان المانيكانات الإسفنجية، نشأت عدوانية وهي بعيدة عن أمهاتها، ولم تكن تستطيع أن تلعب كما ينبغي، ولم تتزوج عندما بلغت، ولم يمكن تعديل سلوكها من بعد. وثبت ذلك

أن **الاتصال بين الأطفال والكبار مسألة ضرورية**. وأن أساس كل اتصال هو **الاتصال الجسدي**، وأن الطفل يحتاج أن يحس بوجود أمه أولاً وجوداً جسدياً، وأن يستشعر حرارة جسمها، فإذا كبر قليلا كان مجرد وجودها حوله مطمئنا له، وهو يتعلم من حدبها ورعايتها أن يستجيب على طريقتها، وتزيد قدرته على التجاوب بالمحبة مع استمرار نموه، فإذا كانت البيئة مواتية في البيت والشارع والمدرسة فإن هذه القدرة تزيد باستمرار وتمتد إلى كافة مجالات نشاطاته، وينضاف إليها البعد الجنسي في فترة المراهقة، ويبلغ الدافع إلى المحبة أوجه بالزواج والحياة العائلية الدافئة. ولقد ثبت أن القدرة الجنسية مرتبطة بالقدرة على العطاء والتلقي. وقد يكون الرجل أو المرأة من غير هؤلاء له فحولة جنسية ولكنه فاشل كعشيق أو حبيب أو زوج، وذلك لأنه في العلاقات الغرامية هناك البعد النفسي، وعليه يتوقف نجاح كل اتصال جنسي.

والضور هو النهم بمعنى الجوع الذي لا يشبع، يدفع بصاحبه إلى تناول المزيد من الطعام، ويعتبره البعض من الأعراض الهستيرية أو التحولية، ومرجعه أسباب انفعالية غالبا، ولربما هو وسيلة لمواجهة الضغوط الخارجية والتوترات الداخلية، وكثيرا ما يفسر بوصفه محاولة لتحصيل الشعور بالأمان الذي كان في حياتنا الباكرة عندما كان تناول الطعام يتم مباشرة بمساعدة الأم. وقد يكون **فرط الشهية** طريقة بديلة لإشباع حاجات لم تشبع، وقد تكون البدانة المترتبة عليه مقصودة

للقيمة الرمزية أو الدفاعية التي لها، حيث قد تضفي البدانة على البدين إحساسا بالمهابة والاحترام، أو تعطيه شعوراً بالقوة، وفي كل الأحوال فإن البدين يدخل في روعه أنه آمن مع زيادة وزنه. غير أن أهم المعاني الرمزية التي قد تكون لفرط الشهية هو أنه قد يمثل **جوعا للمحبة والحنان**، والمشاهد أن تناول الطعام عند الرضيع أو الطفل يتم في جو من الحب، ويرتبط الأكل بما يلقاه الصغير من الوالدين من رعاية وحب، أو قد يكون الجوع الدائم الذي يستبد بالمريض هو البديل أو المعوض لجوع آخر لأشياء. محروم منها في الوقت الحاضر، كالفهم من الناس، أو الاحترام من الأهل، أو الرعاية من المحيطين به، أو ربما من الجنس.

والحرمان الجنسي من أشد أنواع الحرمان قسوة على المحروم منه، وقد يدفعه الجوع الجنسي الذي لا يجد الإشباع إلى منصرفات كالإقبال على الطعام يستنفذ فيه طاقته الشهوية ويجد فيه لذته الكبرى، ويصبح الطعام بديلا عن الجنس، وعملية الأكل بديلا عن العملية الجنسية. وليس بمستبعد أن يطلب أطعمة أخرى، وليس ذلك إلا لمشابهة بينهما وبين أي من المكونات الجنسية، وقد تكون في الشكل أو الرائحة أو الطعم أو الحجم.

والجوع العاطفي دافع دينامي قد يكون له مع المريض تاريخ قديم يمتد إلى الطفولة. والمعروف من الأطوار النفسية الجنسية أن أحدها هو **الطور الفمي**. وفيه تتركز كل الحساسية الشهوية عند الطفل في

فمه. وفي هذا الطور أيضا نجد في الطفل نهما لأن يعمل فمه في كل شيء، ويجد لذة كبرى في تناول الطعام أو في الرضاعة، وتجده يعمل شفتيه في ثدي أمه مصاً وعضاً، فإذا حرم من الرضاعة في غير الأوان، أو إذا لم تلب حاجاته الفمية ظلت به تلازمه وتلح في طلب الإشباع، وتستمر في هذا الإلحاح حتى البلوغ وما بعده، وقد لا تجد الإشباع طوال هذه المدة ومن ثم فقد يتحول المرء وهو صغير، أو عندما يبلغ، إلى الطعام يشبع به هذه الحاجات الفمية التي لم تشبع.

ويذهب أصحاب **مدرسة التحليل النفسي** إلى الربط بين فرط الشهية والجنس والحمل، والمشاهد أن الكثيرات من **الحوامل** يكثرن من الأكل ويفرطن فيه، حتى أن الواحدة ليزيد وزنها كثيرا خلال الحمل، وقيل في تفسير ذلك أن الحامل ربما لا تشعر بالأمان لما يمثله الحمل بالنسبة لها من حيث أن بعض جمالها يختفي، وتختفي معه جاذبيتها، ومن ثم فقد تفقد جاذبيتها الجنسية وتختل مكانتها عند زوجها، أو ربما قد يأتي الطفل فيزيحها عن مكانتها عنده ويشغل به زوجها عنها، **وقد يقلقها ذلك وتغار منه فتجد في الأكل وزيادة وزنها بعضا من الأمان الذي قد يطمئنها، وإشباعاً لجوعها العاطفي**. وربما يركز الأكل على المستوى الأعمق من اللاشعور إلى رغبات في الموت تجعل الطفل موضوعا لها، وليس **القيء** الذي يأتي الحوامل، وحالات الوحم والرغبة في أطعمة معينة، إلا محاولة من الحامل أن تتخلص من الجنين،

إما بالإجهاض الذي يرمز إليه القيء أو بأن تزحم بطنها بالأكل لتزهق به الجنين. وتستمر محاولات الأم اللاشعورية في التخلص من الجنين إلى أن تشعر به يتحرك في بطنها في الشهر الثالث أو الرابع، وعندئذ يتوقف وحمها، وتدرك أنه أصبح واقعا، وعاد شخصا مستقلا عنها، وليس شيئا منها يمكن أن تقيئه من جسمها، أو تزهق أنفاسه في بطنها بما تزحم به هذا البطن من طعام، وعندئذ قد يشبعها الحمل عاطفيا. وبعض النساء مع ذلك عكس الصورة السابقة، وقد يرغبن بقوة في الحمل، وقد يطول زواجهن دون أن يتحقق لهن ذلك، ومن شأن أمثالهن أن يتحولن إلى الطعام لعلهن به يشبعن أنفسهن عاطفيا فيكثرن من تناول الطعام لذلك وتزيد أوزانهن كثيرا ومن رأي **مدرسة التحليل النفسي** أن فرط الشهية قد يتأتى لا شعوريا من رغبة عاطفية قوية في الحمل، وهي رغبة قد تستبد بالنساء كما تستبد بالرجال الذين يريدون لزوجاتهم أن يحملن، وكأن الطعام والشراب قد استحالا **أدوات رمزية للإخصاب**، كما تستحيل البدانة رمزاً يمثل الحمل.

وفقد الشهية العصبي هو النقيض لفرط الشهية، وتصاب به البنات غالبا ابتداء من **الثانية عشرة حتى الواحدة والعشرين**، والإصابة به عند الإناث قدرها عند الذكور تسع مرات. وتعجف البنت التي تمرض به وتهزل بشدة وقد تتوفى، ونسبة الوفيات به من 5% إلى 15%، وغالبا ما تكون المريضة بدينة قبل أن تصاب به، وتعاف

الطعام حتى لتغثيها رؤيته، وينقطع طمثها. والمريضات به لهن **شخصية** متميزة من حيث **عدم النضج**، ويتصرفن بأنانية، وتكون بهن رغبة في الظهور بمظهر مثالي ونشدان الكمال. وكذلك يلاحظ عليهن أنهن من النوع الموسوس أو الهستيري، وأغلبهن ذهانيات قبل أن يصبن بالمرض، وأحيانا يكون فقد الشهية مترافقا مع الإصابة بالفصام. وتولي المريضات به مسائل التغذية من الصغر اهتماما غير عادي، ولهن من الطعام مواقف غير معقولة، سواء قبل المرض أو بعده، وقيل في تفسير ذلك أن **الطعام عندهن رمز للجنس، وتناوله رمز للعملية الجنسية**، والصورة الطفلية أن الحمل يحدث عن طريق الفم، ومن ثم فالإقبال على الطعام قبل المرض **إشباع بديل لرغبات جنسية**، والاستعفاف بعد المرض ربما كان بسبب الخوف من الحمل، أو قد يكون السبب خبرات جنسية صادمة، كحالة إحدى المريضات وكانت في المراهقة، واعتدى عليها مدرسها جنسيا، فصارت تعاف أي طعام يذكرها بالاعتداء عليها أو بشكل الأعضاء الجنسية، أو بالرائحة الخاصة لأعضاء الجنس. والمعول عليه أن فقد **الشهية العصبي** اضطراب نفسي ليست له أسباب عضوية، ولذلك يتوجب على المعالج أن يتأكد أولا من سلامة أجهزة المريضة الهضمية والجنسية والغُديه حتى لا يكون السبب راجعا إلى أي من نقص الإفرازات الكظرية أو النخامية، أو بسبب سوء في الهضم ليس نفسيا.

واكتشاف **فقد الشهية العصبي** حديث نسبيا، ويرجع الفضل فيه إلى العالم وليام جل، وأطلق عليه اسم **سوء الهضم الهستيري** إذ كان المضمون أنه ضرب من الاستجابة الهستيرية، وقد لاحظ أنه برغم الهزال الشديد الذي تكون عليه المريضة فإنها تكثر من الحركة وتتوقد بالنشاط، الأمر الذي يجزم أن المرض **ليس لأسباب عضوية**. والغالب أن البنت المريضة تكون لها مشاكل مع أمها، والأم إما من النوع المسيطر مفرط الحماية لأطفالها، أو أنها قاسية نابذة لهم ، فإذا بلغت وتجاوزت الطفولة فقد تحتج على حماية أمها أو على قسوتها باللجوء إلى رفض تناول الطعام كما يفعل الأطفال، ولذلك يكثر هذا الاضطراب بين **البنات في سن البلوغ أو المراهقة**. وقد يعني رفض الطعام أن البنت تريد أن تضمر في أعين الناس لتدفع عن نفسها أن يزوجوها على غير ما تهوى، أو قد تكون رافضة أساسا لفكرة الزواج. وقيل إن البنت إذ تنشأ في بيت متزمت خلقيا، ومع ذلك تجد أن أفكارا إباحية تراودها، وأن نفسها تنازعها إلى ارتكاب الشهوات، فقد يلجأ الأنا عندها إلى هذه الوسيلة ليدفع بها عنها إلحاحات الهو وزواجر الأنا الأعلى. وهناك الكثير من البنات الكبار يبقين على طفولتهن ويجدن للبلوغ وطأة لا يحتملنها، ويخشين الحمل باعتبار صورته الطفلية التي لديهن أنه يحدث عن طريق الفم بتناول أطعمة معينة، ولذلك قد يعني رفض تناول الطعام محاولة من البنت أن تستمر صغيرة برغم علامات

البلوغ الذي تخشى مغبته. وقد تشهد البنت الخناقات العائلية بين والديها، والأزمات التي تمر بها أسرتها، فإذا جاءها البلوغ رفضت فكرة أن تكون قد كبرت وحان زواجها، وأن تكون لها بالزواج تجربة كتجربة أمها، ومن ثم تتأبى على الطعام مع البلوغ، لعلها تهزل وتقبح فلا تتزوج. وقد يكون الاستعفاف عن الطعام عقابا تنزله بنفسها لما يأتيها مع البلوغ من نزعات جنسية. وعلى أي حال من الأحوال فإنه ما من حالة من حالات فقد الشهية العصبي إلا وتكون هناك **مشاكل عائلية** تعاني منها المريضة **وخاصة مع أمها**. وقد تكون هناك إحباطات في التوافق الجنسي، وتفيد المريضة مكاسب ثانوية من حيث المعاملة من أهلها من خلال تداعيها بالمرض. ومهما كانت الديناميات السيكولوجية فالمعول عليه أن فقد الشهية العصبي **استجابة متعلمة** تأتيها بعض البنات كرد فعل لضغوط معينة.وقيل أيضا إن نشأة البنت التي تأتي هذه الاستجابة يكون غالبا في وسط من الصبية الذكور، فتكبر ولها سلوكهم، فإذا بلغت وكانت إمارات الأنوثة رفضتها، نفوراً من المظهر والسلوك والدور الأنثوي، وطلباً للاستمرار في المظهر والسلوك والدور الذكوري، فترغب بشدة أن يتوقف نموها، وتضرب عن الطعام وتعافه كمحاولة لإعادة عقارب الساعة للوراء. وكثيرا ما تبدأ هجمة المرض عقب **محاولة جنسية** من ولد يزاملها في اللعب، كأن يقوم بتقبيلها، وقد تحسب أن الحمل يتم عن طريق التقبيل فتخشى الدخول في التجربة مرة أخرى، بل

وتخشى كل ما يمكن أن يقرب فمها ومن ذلك الطعام. وبعض المريضات قد يعفن الطعام كلية، وبعضهن قد يتناولن منه ثم يقئنه، والبعض يزعمن أنهن لا يشعرن بالجوع أبدا، والبعض قد يتحول اهتمامهن بالطعام إلى اهتمام بكتب الطهي، ويقتنين منها العشرات، ويقرأنها دون أن يحاولن تذوق ما تدعو إليه، وكأن الإشباع هنا بالقراءة بديل عن الإشباع بالتناول لأنه في الأساس طلب للإشباع العاطفي وليس المادي.

ومن الصعب **علاج فقد الشهية العصبي**، وخاصة إذا استفحلت آثاره على الصحة العامة للمريضة، وخاصة كبدها، فيشق الشفاء، غير أنه في غير ذلك قد يفيد **العلاج النفسي** الذي يركز على مخاوف البنت من ممارسة دور الأنثى البالغة أو أن يكون لها شكلها، إلا أنه قد يستمر لشهور أو لسنين. وأثبت **العلاج السلوكي** بعض النجاح، فطالما أن فقد الشهية استجابة متعلمة تعززها البيئة فإنه بالإمكان تعزيز تناول الطعام، ويقتضي ذلك مثلاً تجريد حُجرة المريضه من كل أسباب الراحة فإذا طلبت شيئا من ذلك لم يُسمح لها به إلا إذا تناولت قدرا من الطعام. وكذلك الأمر في أي من الطلبات الأخرى، مثل التحدث إلى أحد، أو زيارة أحد، أو الاستماع إلى الموسيقى، أو مشاهدة برامج التلفزيون إلخ. ويتمشى تحقيق الطلب مع القدر من الطعام الذي تدعى لتناوله.

وتترتب على فرط الشهية أو الجوع إلى الطعام باستمرار **البدانة**، والشكوى منها بين **الإناث** أكثر منها بين الذكور، ورغم أن البدانة قد تنشأ نتيجة اضطرابات هرمونية ويمكن ردها إلى العادات الغذائية السيئة في الأسرة والمجتمع، إلا أنه يتبقى دائما أن نجيب: **ولماذا تأكل بعض العائلات أكثر من غيرها؟** وأيضا **لماذا تأكل الإناث أكثر من الذكور؟** ولا شك أن الإجابة على هذين السؤالين لابد أن ينصرف إلى العلاقات التفاعلية التي للبدين أو البدينة ببيئته، والعلاقات التفاعلية بين أفراد الأسرة الواحدة وبين أفراد المجتمع ككل. وتتمايز العائلات والمجتمعات بما لها من مشاكل تترتب عليها استثارات انفعالية يعاني منها البدين بخاصة، ومن شأنها أن تجعله ينصرف إلى الطعام يستنفذ في تناوله طاقته الغضبية والإحباطات والتوترات في حياته. وكذلك قد تتأثر العائلة ككل، أو المجتمع في غالبيته بما يكون عليه حال الحكم والسياسات المعمول بها، والظروف المناخية والاقتصادية فيه، والعلاقات الاجتماعية التي تسوده، فهذه كلها أمور قد تجتمع على الفرد الواحد أو الأفراد، بالإضافة إلى الاستعداد الوراثي، واليسر المادي، والإنفاق عن سعة، وتتكون بكل ما سبق عادات اغتذائية فردية أو عائلية أو اجتماعية. وتبرز العوامل الانفعالية كأهم سبب يدفع إليها جميعا، وخاصة أن البدانة تبدأ مع مراحل الحياة التي يتحاشى فيها أي إنسان أن يزيد وزنه عن المقرر، وهي مراحل الطفولة المتأخرة والمراهقة وأوائل

الرجولة أو النضج الأنثوي، الأمر الذي يضخم من آثارها ويجعل لها مردودا انفعاليا أكثر مما لها في مراحل العمر الأولى من الطفولة، أو التالية على ذلك في الثلاثينات وما بعدها. والطفل البدين يسعد أهله ببدانته ويحسبون أنها فرط صحة. والرجل الذي يزيد وزنه في الثلاثينات قد يظن أن ذلك يجعله أكثر احتراما عند الناس، ويبدو أقوى. ويقال عن المرأة في الثلاثينات أن لها مظهر السيدات عندما تسمن ويثقل وزنها. وكم من مدرسات وطبيبات وناظرات عاقهن الهزال عن ممارسة عملهن كما يجب، في حين أن هذه السمنة قد تساعدهن كثيرا على تحقيق ما ينشدنه في وظائفهن أو في البيت.

ودلت البحوث على أن البدين ينشأ غالبا في بيت **الأم فيه مسيطرة**، وتمارس سلطاتها عليه وهو طفل من خلال ما تفرضه عليه من أطعمة، وهي عادة أم توصف بأنها **مفرطة الحماية** أو مفرطة في العناية بأولادها. والطفل البدين قليل الحركة فيجعله ذلك أكثر التصاقا بأمه واعتمادا عليها، وهو ما تريده الأم. وربما كانت سيطرة الأم راجعة إلى شعورها بعدم الأمان، مما يجعلها تتحول إلى ابنها أو ابنتها تصنع منه ما تفتقده من زوجها، أو توجهه إلى ما لم تحققه لنفسها، وذلك يفسر عنايتها الفائقة وحرصها الشديد بطعام أولادها، وكأن الطعام الذي تعطيه لهم هو إشباع لها عن جوعها العاطفي. وكثيرا ما تكون البدانة بالطفل لأنه يشعر أنه غير مطلوب في الأسرة، وأن أمه تنبذه، ويلمس

قسوة أمه له من صغره وانصرافها عنه وخاصة في المرحلة الفمية من مراحل النمو النفسي الجنسي، وفي هذه المرحلة تكون حاجات الطفل فمية، ولكن الام تفطمه قبل الأوان، وتظل معه حاجاته الفمية التي لم تشبع طوال سني حياته كلها وتطالبه دائما بالإشباع، فيكثر من تناول الطعام لعله يتخفف من وطأتها، عليه وقد تشعر الام النابذة لأولادها بالذنب لإهمالها لشئونهم فتعرض عن ذلك بالمبالغة في تغذيتهم كي تستر كراهيتها اللاشعورية لهم. وقد ينطبع الطفل بهذه العادات الغذائية، وخصوصا انه يكون في سنوات التكوين، وتتثبت به هذه العادات، وتصبح ميولا واتجاهات تدفعه دفعا إلى الإقبال على الطعام، فيزيد وزنه وتتأصل به البدانة في المراهقة وما بعدها.

وبعض الناس يفرطون في الأكل لانهم يريدون البدانة لما يعطيهم الوزن من الأهمية والاحترام عند الاخرين، ولمظهر القوة الذي يبدو عليه البدين وتفسير ذلك أن البدين، إنسان قلق وهو يلجا إلى الطعام كلما استبد به قلقه لعله يحد منه. وربما يخفف الإفراط في تناول الأطعمة من الشعور بالوحدة والإحساس بالنقص، وقد يشغل به البدين عن الاكتئاب. وقد يتوسل المؤرق بالطعام والإفراط فيه لينام، أو ليتحقق له من خلاله الاسترخاء، وبعض الناس لا يحسون الاسترخاء إلا إذا أكلوا فافرطوا. وقد يتوسل البعض بالإفراط في الطعام على الهروب من التوترات الانفعالية، فمثلا البدانة في المراهقة أو في العشرينات قد تكون

الطريقة التي يهرب بها البعض لاشعوريا من القلق كلما كان عليهم أن يلتقوا بفتاة. وقد تتعلل بعض البنات بالبدانة لترفض فكرة الزواج، والحقيقة أن الحديث أو التفكير في الزواج يستحضر للبنت القلق، فلكي تطرد القلق تشغل نفسها بالإقبال على الطعام، وتجعلها البدانة منفردة فتنقذها من قلقها ومخاوفها.

وربما يكون الفتى الذي يرفض فكرة الزواج عنينا، وكذلك ربما تشكو البنت من البرود الجنسي. ويرد البعض البدانة عند المراهقين إلى الرغبات الجنسية المحرمة التي يتعذر تحقيقها، فيسلم المراهق نفسه لمتعة الطعام كبديل عن متعة الجنس، وتصبح عملية الأكل بديلا عن العملية الجنسية.

وقد تمثل البدانة **رغبة في الحمل**، وبعض الرجال تستبد بهم الرغبة في الإنجاب ويعجز عنه لعنة به أو عقر بزوجته، وقد لا يعلنون عن رغبتهم ولكنها تظهر في شكل الإفراط في الطعام وتحصيل البدانة التي لها مظهر الحمل. وقيل في **الوحم** الذي يكون ببعض الحوامل، وحالة القيء التي ترافقه، إن المرأة لا تريد الطفل وتخشى مجيئه بسبب غيرتها من انصراف زوجها إلى الاهتمام به عنها، أو لأنها تخاف أن يفسد الحمل والرضاعة من جمالها، وان تقل بهما جاذبيتها بالنسبة للجنس الأخر، أو قد تكره مجيء الطفل لاسباب اقتصادية، أو لأنها لا تحب زوجها ولا تريد أن تنجب منه، فتتقيا وكأنها بذلك تتقيا الجنين

وتتخلص منه. ويرمز الطعام إلى الحمل، والمرأة التي تفرط في الطعام قد تكون بها رغبات محتدمة أن تحمل، وكذلك التي تقيء الطعام قد تعبر بذلك عن رفضها للحمل. وقد يكون إفراط الحمل في تناول الطعام حتى لتتخم به، وكأنها بذلك تريد أن تزهق به انفاس جنينها أو تزاحمه بالطعام على مكانه في بطنها تريد أن تطرده، والمشاهد أن الكثيرات من الحوامل يزدن في الوزن كثيرا ويقبلن على الطعام بشراهة عن ميول في حقيقتها تفصح عن رفضها لدورها كزوجة وكأم.

وتذهب **مدرسة التحليل النفسي** إلى تفسير البدانة باعتبارها طريقة لإشباع الحاجات الغريزية، ففي **المرحلة الفمية** قد يشره الطفل ويجوع كثيرا ويرضع اكثر، لانه يتحول إلى امه أو إلى الثدي فيها بالذات الذي منه يرضع ويكون به اشباعه، فيرغب أن يستدمجه فيه، ويكون جزءا منه هو، لا من شخص يغيب عنه أحيانا ويحرمه هذا الثدي غالبا، ويحاول أن يستدمجه فعلا، ويعض فيه وتقبض عليه يداه، ثم يتعلم أن يستعيض عنه بان يزيد من الرضاعة يشبع بها نهمه إلى الثدي ورغبته فيه التي يعجز عن تحقيقها. وفي **المرحلة الشرجية** تكون هناك مقارنة بين الطعام وبين ما يخرج من الشرج، والكثير من الأطفال تستبد بهم أوهام شرجية من نوع هذه المقارنة، وينصرفون إلى الطعام بالنظر إلى هذه الاعتبارات الشرجية السالفة. وفي **المرحلة القضيبية** ترتبط الرغبة في الطعام بتوهمات الحمل والرغبة فيه. وينفعل الفم وكأنه الفرج أو

يساويه، ويصبح الطعام بديلا عن الطفل، والبدانة صنو الحمل، وتناول الطعام مثيلا للعملية الجنسية.

وقد تحقق البدانة أوهام عظمة عند البدين، وتعطيه إحساسا بالقوة الفائقة، وتحميه من شعور بالقلق الانفصال،أو قلق الخصاء، أو قلق الخوف من الفناء. **وقلق الانفصال** يتأتى نتيجة غياب الام عن الطفل كثيرا حتى ليصبح هذا القلق جزءا من البناء النفسي للطفل. واما **قلق الخصاء فهو** الذي يترتب على عقاب الأب للطفل وتهديده له بان يقطع قضيبه (حمامته) إذا لم يفعل كذا، أو إذا عاد لفعل كذا. واما **الخوف من الفناء فهو** خوف على الأنا من أن يذوب ويفنى لسبب من الأسباب، أو بطريقة من الطرق. وفي تجربة الحب يعاني الشاب أو الشابة كل ذلك، فهما يلتقيان ولكن حتى في اللقاء قد يتعذبان، لانهما عما قليل سينفصلان. وحتى في الجماع يكون قلق الانفصال قبله وبعده. وأيضا قد تراود الفتى والفتاة فكرة الخصاء، ويتوهم الفتى أحيانا انه بلا قضيب أو عاجز جنسيا، وقد تتوهم البنت ذلك، وقد تظن نفسها غير قادرة على الإنجاب، وقد يخشى أيهما أن يحب الأخر فيفقد نفسه في هذا الحب. وقد يقبل المحبون والعشاق على الطعام ويزيد به وزنهم تخلصا من أنواع هذا القلق وتأكيدا لذواتهم.

وعلاج البدانة أذن يقتضي الإحاطة بتاريخ المريض واكتشاف المعنى الانفعالي عنده للبدانة، بالنسبة لماضي حياته وحاضر تجاربه. ولربما

تؤدي مساعدته على حل صراعاته النفسية القديمة وتجاوز الضغوط التفاعلية الحالية على إنقاص وزنه.

وينبغي أيضا أن يأخذ البدين نفسه بعد العلاج بحمية خاصة تجعله يعتاد الوجبات الخفيفة، لانه لم يعد في حاجة إلى الطعام الزائد يعوضه عن قصوره النفسي، أو القصور في إشباع الرغبات التي لا يمكن إشباعها عن طريق تناول الطعام، **فالرغبة الجنسية لا يشبعها إلا الجنس**، واستبداله بالطعام قد يصلح مع شخص مريض ولكنه لا يجزي مع الشخص السوي.

الحب

مراتب الحب والمحبين وسيكولوجيته

الحب في الاصطلاح هو ميل الطبع في الشيء الملذ، وهو عاطفة مركبة منها **الهوى** وهو التوجه إلى الصواب، **والعلاقة** وهي الحب يلزم صاحبه، وسميت علاقة لتعلق النفس بالمحبوب، ثم **الكلف** وهي المرتبة الثالثة في الحب، وأصلها من الكلفة وهي المشتقة، ثم **العشق** وهو فرط الحب، **والشغف** وهو الحرقة يجد فيها المحب لذته في الحب، **واللوعة** مثل الشغف، ثم **الجوى** وهو الهوى الباطن وشدة الوجد من العشق، ثم **التتيم** وهو أن يستعبده الحب، ثم **التبل** وهو أن يسقمه الحب، ثم **الوله** وهو ذهاب العقل في الهوى. وفي الحب تكون **الصبابة** وهي رقة الشوق إلى المحب، **والومق** وهو شدة المحبة، **والوجد** وهو الحب الذي يتبعه حزن، **والشجن** وهو حب فيه الهم. **والشوق والاشتياق** نزاع النفس إلى الشيء **والوصب** ألم المحبة. **والسهر والأرق والكمد** قد تكون من لوازم الحب والشوق. **والخله** توحيد المحبة وهي رتبة لا تقبل المشاركه. **والود** خالص المحبة، **والغرام** هو الحب اللازم للشخص. وكل هذه الأسماء كمظاهر سلوكية وحالات سيكولوجية لشيء واحد، أو عاطفة مفردة، تعني التأثر الوجداني بالمحبوب، والإحساس بالترابط مع

شخصه، والشوق والحنين إليه. وقد يكون الحب لإنسان أو حيوان أو شيء. والحب إذا قوى وتأكد فهو **العشق**، وقيل في التفرقة بينهما أن الحب أو المحبة يكون بلا شهوة، بينما العشق يقرن بالشهوة. وقيل إن عنصر الشهوة موجود بالحب دائما، وقيل إنه ليس شرطا أن يحوي الحب عنصرا شبقيا، وأنه يكفي أن يكون عاطفة أغلب وجداناتها **المحبة**، وتستهدف الارتباط بشخص آخر أو شيء مشخص، وطلب الخير والسعادة لذلك الشخص. وقيل إن المحبة قد تتسامى فتخلو من كيفية جنسية، وقيل إن المحبة معناها صوفي أو ديني أكثر منه علمي، وحقيقة **المحبة عند الصوفية هي** أن تهب كلك لمن أحببت، فلا يبقى لك منك شيء، **والعشق عندهم** أقصى درجات المحبة، ومعناه اتحاد ذات المحبوب بذات الحب، اتحادا يوجب غفلة المحب، شغلا بشهود محبوبه في ذاته، ولذا قيل إن العشق أقصى مقامات الذهول والغيبة، وأولاها **الغرام** وهو الانتشاء من خمر المحبة، ثم **الافتتان** وهو خلع العذار وعدم المبالاة بالخَلْق، ثم **الوَلَه** وهو مقام الحيرة، ثم **الدهش** وهو الذهول، ثم **الفناء** عن رؤية النفس، وهو أن يكون العاشق لا يسمع إلا لمحبوبه، ولا يبصر إلا به، ولا يدرك إلا به وله، ومنه فناء به عن نفسه وعن الأشياء كما كان قيس بن الملوح المسمى **مجنون ليلى**.

وأما **الحب عند علماء النفس** فله خمسة تصانيف، فصنف هو **الحب الأخوي**، يكون بين الاخوة على الحقيقة أو على المجاز، وقد

نستشعره للناس، فنطلب لهم الخير، ونعمل على توفيره لكل المحيطين بنا، وصنف هو **الحب الأبوي** ويكون من الأب لأولاده. وقد يعتبر الشخص الجميع أولاده، ويسعى لصالحهم ويؤثرهم على نفسه، ويحس بهم امتدادا لوجوده، وبهم يتأكد وجوده ويُستبقى؛ وصنف هو **الحب الشبقي**، يكون عشقا وكلفا بالمحبوب، فيطلبه دائما ويهدف إلى الالتصاق به ويتمنى وصاله، وصنف هو **حب الذات** فيرضى بنفسه عن الناس، ويقنع بها، وقد يدفعه ذلك إلى الاستحواذ، يريد أن يجعل من نفسه أفضل مما هي عليه، وأن يميز عن كل الناس، وقد يطلب صحبة الناس لأن ذلك يفيده ويعود عليه بالنفع، والصنف الخامس والأخير هو **حب الله**، ومصدره الحاجة الأكيدة في الإنسان لأن ينتمي، وأن يتواصل بالناس والعالم والكون كله، وأن يعتقد أن للوجود غاية، وأن له خالقا، ومن ثم تكون حركته في الحياة محسوبة بقيم عليا، يعطيه الإيمان بها ثقة في نفسه وأملا في حياة أفضل، ويحميه من الشك الذي يمكن أن يعصف بتفكيره فيشمله منه القلق ويتردى به إلى اليأس.

ويولي أطباء النفس أكثر اهتماماتهم **للحب الأبوي والحب الشبقي**. وهناك العديد من التعبيرات يتشكل بها الحب الأبوي، وكلما نما الطفل اختلفت معاملة الأبوين له، فالرضيع له معاملة، وكذلك الصبي. ومن الأبوة أن يتفهم الوالدان حاجات أطفالهما، وتمتد المحبة فتكون عناية بجسم الصغير وتلبية لمطالبه، فإذا شب وكبر صارت الرعاية

لمهارتـه، وتشـجيع محاولاتـه لاختبـار الواقـع، والتعـرف إلى إمكاناتـه، واكتشـاف العـالم. فإذا كـان في المدرسـة كانـت ترقيـة لاتجاهاتـه، ودفعـا لميوله، واستحسـانا لسلوكه أو ترشيدا. فإذا كانـت المراهقة تحول الحـب فصـار تأكيـدا لاطمئنـان الأبنـاء، وترسـيخا لاسـتقلاليتهم، وأن تكـون للولـد أو البنـت حياتـه الخاصـة، وأن يستشـعر أن أبويـه يثقـان فيـه وفي قدرته على ممارسة الحياة وحده وأن تكون له خبراته. وأثبتت الدراسات النفسية أن القـدرة على بذل الحب، وكذلك تلقيه، لا يمكن أن تتطور وتتأكـد بالطفـل إلا إذا عمـل الوالـدان علـى تنميتهـا خـلال سـنوات التكوين، ويعني ذلك أنه لابد أن تسود البيت الذي ينشأ فيه الصغير مشـاعر وديـة بين أفـراد العائلة، فـلا تـتربى فيـه اتجاهـات الشـك والريبـة والأنانية والعدوانية، ولا يتحصل له الإحباط ويتأكد لديه أنه منبوذ وغير مرغوب فيه، وتجتمع عليه من جراء ذلك مشاعر سلبية، تتشكل بها حياته داخله، وقد يعامله الناس بتفهم أكبر، وينجح في أن تكون له بهم علاقات مثمرة، تساعده على التغلب على ما قد ترسب في نفسه نتيجة المعاملة الأولى السيئة، ومن ثم يصبح أكثر تقبلا للحب وتجاوباً معه.

والحـب بخـلاف **الافتتـان**، وإن كـان الحـب لا يسـتغني عـن الافتتان، ولا بد أن يستبقي من مرحلة الافتتان شيئا. والافتتان قد يأتي عفوياً وفجأة، بينما الحب يقتضي زمنا، وفي الافتتان يكون الشخص محبا للحب، أي به الرغبة أن يقع في الحب، بينما في الحب يحب المحب

شخصا. وفي **الافتتان** يكون المحبوب مغايرا للمحب، أي أن المحب لم يشعر بعد أنه والمحبوب واحد، بينما هو في الحب يتعين بالمحبوب ويرى نفسه فيه ويتحد به. وفي الافتتان يعتور القلق المحب، ويريد أشياء، ويحلم بأشياء، ويتمنى أشياء، ولكنه في الحب **تتنزل** عليه السكينة، وتدخل الطمأنينة نفسه وتفكيره، ويكون في سلام مع نفسه والعالم من حوله. **والمحب المفتون** قد يصيبه الإحباط، ويفقد الطموح، ويعاف العيش وحتى الطعام، ويكون في ذهول، ولكنه في الحب يلهمه حبه فيعمل ويقدح ملكاته، ويحاول أشياء ليرضي بها محبوبه ويدخل عليه السعادة. وفي **الافتتان** هناك دائما الجسد والرغبة في الوصال أكثر مما في **الحب**، والمحب المفتون قد يتغير بسرعة، بعكسه في الحب، فالحب يدوم.

والافتتان قد يكون شركا إلى الزواج المتسرع، وخاصة عندما يكون المحبان والهين، تقض مضجعهما الرغبات الجنسية، ويتعجلان الوصال، أو تكون بهما حاجات اعتمادية، ويريدان، أو واحد منهما، أن يلقي على الآخر بمسئولياته، أو قد يدفعهما إلى الزواج أن يجدا فيه خلاصا من الوحدة أو السأم أو الكآبة. وأما **الحب الحقيقي** فعلى النقيض، قد تدخله الرغبات الجنسية التي تدفع إليها دوافع فكرية ونفسية لها اعتباراتها، وتدعو إليه الاهتمامات المتماثلة للطرفين، والإعجاب المتبادل بخبرات كل وطموحاته، وكما في الحب الأخوي

والحب الأبوي يسعى فيه الطرفان إلى إسعاد بعضهما، والعمل على كل ما من شأنه أن يرقى فيهما مشاعر الحب، ويرهفها وينميها.

وكان **الإغريق** القدماء لا يعترفون إلا بالحب الجنسي الذي قوامه الافتتان، غير أن **أفلاطون** جعل للحب معنى متساميا، وهو بحسب جدله يبدأ بالأقل وينتهي بالأكبر، فنحن نحب الشخص أو الشيء الجميل، ثم نحب ما هو أجمل في الأشخاص والأشياء، ثم نخلص إلى أن نحب الجمال في المعاني وليس في المحسوسات، وقد نبلغ كمال الحب فنحب الجمال الإلهي الأسمى. ومن الحب ما يكون بحسب الجدل النازل كحب الأنبياء والصديقين وخاصة **الصوفية**، **فهو** تعين وامتلاء بالمعاني الإلهية، وخروج عن الذات. وبذل وعطاء للناس، على عكس **الحب الأفلاطوني** الذي هو تركز حول الذات، ومن الحب أيضا **الصداقة**، وهي حب أخوي لا يقوم على التجانس والتجاذب ولكنها ارتباط بين اثنين من الأخيار، لا للانتفاع، ولا لأنهما متشابهان في الاهتمامات، أو حتى يجمع بينهما تجاذب الأضداد، فالصداقة المبنية على أسبابها تزول بزوال مسبباتها، وأما **صداقة الأخيار** ففيها دائما العطاء الذي لا يسعى إلى مقابل، وتقوم بين الأنداد. ويجمع **أرسطو** في الصداقة الحقيقية المحبتين معا، **محبة الذات ومحبة الغير**. ولا تعني محبة الذات الأنانية الكريهة المستحوذة، وإنما هي محبة الذات بمعنى الاهتمام بها والسهر عليها، لترقى باستمرار وتكون أهلا للمحبة ومتصفة بالفضيلة. ويرفض

أرسطو إمكان قيام الصداقة بين الأشرار، لأن الشرير لا يمكن أن يفرح للخير يتحصل لصديقه، بل سيحسده عليه، ومن ثم فالصداقة لا تجتمع إلى شرير.

والحب عند **علماء التحليل النفسي** حالة وجدانية، فيها رغبة المحب أن يمتلك محبوبه، وأن يتعين به، ورغبته في أن يسعده ويلذه، وأن يواصله، وأن يجد لديه صدى لحبه فيبادله حبا بحب، وأن يسعد به ويقربه. والحب عند فرويد متمايز عن الصداقة، وعن الافتتان، ولكنه مظهر غرائز الجنس، ويختلف التعبير عنه بحسب تطور الليبدو أو الطاقة النفسية عند الشخص، ابتداء من الطفولة وانتهاء بالكهولة. وقد تكون صور الحب في مرحلة متقدمة من مرحلة متأخرة، بمعنى أن الشخص ينكص إلى الماضي ويعبر بطرقه عن حبه. أو قد يستخدم الحب وسيلة دفاع ضد المشاعر العدوانية أساسا. وقد يتسامى بحبه الذي لا يجد التحقيق المباشر له كأن يتحول إلى حب مثل أعلى، أو إلى حب الإنسانية بعامة.

ويذهب **فرويد** إلى القول بنوعين من الحب يصفهما بأنهما النمطان الأساسيان، **الأول النمط النرجسي**، فيحب المرء نفسه ويتعشق ذاته تعشق **نرسيس** أو **نرجس** في الأسطورة اليونانية لصورته، أو يحب الصورة التي كان عليها سابقا، أو التي يُحب أن يرى نفسه فيها لاحقا، أو يحب شخصا يرى فيه نفسه حاليا، أو سابقا، أو لاحقا، أو

يحب شخصا يريده أن يكون كنفسه، وأن يكون له فهمه للحياة، وأن تكون له اتجاهاته، أو يرى أنه يشبع فيه الحاجات التي كان يصبو إليها، وقد يحب الرجل امرأة بعينها لأنها ترعاه كأمه، فهي بديل للأم، أو تحب امرأة رجلا لأنه يلبي حاجاتها ويحميها كأبيها، فهو البديل عن الأب.والحب عند البالغين مزيج من كل ما سبق، ويتضمن كافة العناصر السالفة. ولا يوجد حب لا يجد المحب فيه محبوبه إلا على حال من الأحوال التي عرفها بالخبرة، وعايشها في حياته وكانت له هادياً في اختيار من يحب.

والحب يبدأ في التحول من حب الذات أو الحب النرجسي إلى حب الموضوعات الأخرى بخلاف الذات، عندما يتبين للطفل أنه لا يستطيع أن يحوز تماما ما يحب من أمه وهو الثدي، فلقد عامله طويلا كجزء منه حتى ليعضه أحيانا ويمص فيه مصا يريد أن يلتهمه ويتمثله، إلا أنه يضطر أن يعي أن هذا الثدي لا يخصه بالدرجة الأولى، ولا يمكن أن يكون له وقت ما يشاء، ويستشعر به موضوعا خارجا عنه تتعلق به رغباته، وتدور حوله عواطفه وانفعالاته، ويتعلم أن يشحن الأشياء من خارجه شحنا وجدانيا يصرف إليها بعض طاقاته، بدلا من أن يصرفها كلها على ذاته وحدها، وحينئذ فقط تبدأ مرحلة **الحب الموضوعي** في مقابل **الحب الذاتي**، وهي في أول الأمر مرحلة ترتبط بما يشبع ذات

الطفل، ثم يتخلص الحب بالتدريج من أن يتبع حاجات الطفل، ولا يكون هدفه الإشباع الغريزي.

وأنضج أنماط الحب هو **الحب التناسلي** أو الذي يأتي في الطور التناسلي من أطوار النمو النفسي الجنسي، وفيه يتوقف الإنسان عن أن يطلب الإشباع الجنسي المباشر، ويتعلم أن يتسامى بغرائزه، ولا يعود يحب نفسه بقدر ما يتوجه حبه إلى موضوع غير ذاته، وينتهي عن أن يطلب أن يحوز ما يحب ويضمه إلى نفسه، ولكنه يصرف إليه طاقته حيث يرعاه، ويضفي عليه من العناية ويبذل له من نفسه، وعندئذ لا تتوجه إليه عدوانيته، وينفصل الحب عن العدوان. وهذا النوع من الحب التناسلي يتوقف على المصالحة التي تتحصل من داخل الشخص للصراعات الأوديبية فيه. ويعتمد اكتمال هذا الحب على نجاح الشخص في حل هذه الصراعات، غير أنه من ناحية أخرى فإن الشخص التناسلي ينال أيضا إشباعا لنرجسيته، وإن كان إشباعا ثانويا، وذلك بما يتلقى من محبة الطرف الآخر، واللذة التي تتحصل له من عملية الحب، والتراضي الذي يتم من خلال ذلك بين متطلبات الأنا والانا الأعلى، ففي الحب التناسلي يوجد العطاء والأخذ، أو الإيجاب والسلب. والذي يعطى دائما يكرر دور الأم التي ترعى.

وحب الآباء هو من نوع الحب الذي يعطى، والذي يتوجه فيه التسامي إلى موضوع الحب. وهو أيضا من **النوع النرجسي** لأن الأبوين

إذ يحبان الإبن أو الإبنة يفعلان ذلك لأنهما يريان فيه أو فيها نفسيهما في الصغر، أو يريدان أن يصنعا منه أو منها ماكانا يتمنيان أن يكوناه. ومع ذلك فمن الحب الأبوي ما هو من أنضج أنماط الحب.

وأما **الحب الأخوي** فهو مزيج من الحب النرجسي والحب الاعتمادي، أي أنه قد يقوم على محبة الأخوة حيث يلبون للشخص مطالبه، وكأنهم أدوات له أو أجزاء من نفسه، فهو يحبهم كنفسه، أو يحب فيهم نفسه. وأيضا هو يحبهم لأنهم مغايرون لنفسه، إلا انهم يلبون حاجاته ويعتمد عليهم في إشباعها، وهذا هو **الحب الاعتمادي**. ويقوم الحب الأخوي على ما يسمى **تكوين رد الفعل**، بمعنى أنه قد يترتب كنتيجة عكسية لانفعالات **التنافس** بين الأخوة، أو قد يستحدث بتأثير التسامي بمشاعر التنافس، أو حينما يجد الإخوة أنهم أقرب إلى بعضهم بفعل تعينهم جميعا باتجاهات الأبوين والتربية الواحدة.

وليس **الحب الجنسي المثلي** إلا نوعا من **الحب النرجسي**، حيث يجد المثلى الجنسية أنه يهوى أشباهه من الذكور. وطلبه لهم وتهافته عليهم هو ضرب من الإشباع النرجسي أو الذاتي لغرائزه، فهو يتمثلهم في نفسه وكأنهم نفسه، ويلذ بهم نفسه.

والحب العصابي الذاتي عند فرويد هو أن يحب الشخص نفسه، كما لو كانت موضوعا خارجيا، إلا انه لا يربط نفسه بها برباط خارجي كما يفعل المثلى الجنسية، كحال الزوجين اللذين يبدو أنهما

يعيشان في وئام وسعادة ويتبين أن كلا منهما يشبع في الآخر ناحية عصابية، وليس تعلق أحدهما بالآخر إلا لهذا السبب.

والحب بين الأزواج نوع متميز لا شك في ذلك، ولا يقوم على اللذة والمنفعة القاصرتين. وصدق **الرسول** أن كل محبة تقوم على أسباب غير إرادة المحبة ذاتها مآلها الفشل، وذلك أن الجمال والمكانة والثراء كلها إلى الزوال، ولا يدوم إلا المحبة التي مصدرها إرادة المحبوب ككل. ومحبة هذا أساسها تستمر وإن فنيت الأعراض.

والحب الزوجي حب لزوجة واحدة ولا يمكن أن يكون حبا **لزوجتين**، لأن الزوج في هذا الحب لا يسعى إلى اللذة كما في الايروس أو الحب الشبقي، الذي يسمح له بتعدد موضوعات الحب، والتنقل من امرأة لأخرى، ومن جمال إلى جمال. ولا ينظر الزوج في هذا الحب إلى زوجته باعتبارها موضوعا لحبه، ولكن باعتبارها ذاتا يعطيها ويسعى لأن يسعدها. وهذه المحبة لا تتأتى إلا بعد طول العشرة وكثرة المشاهدة والخبرة. وصدق ابن **حزم الأندلسي** إذ يقول إن الحب من النظرة الواحدة ضرب من الشهوة، وذلك أن اتصال النفوس وتلاقيها، لا يكون إلا بعد أن تتهيأ لهذا الاتصال، وتسعد له بعد إيصال المعرفة إليها بما يشاكلها ويوافقها، ومقابلة الطبائع التي تخفى على المحب من محبوبه بما يشابهها عنده، وحينئذ يكون اللقاء صحيحا ويحدث أثره. وأما ما يقع من أول وهلة ببعض أعراض الاستحسان الجسدي فهذا سر الشهوة

ومعناها على الحقيقة، فإذا تجاوزت المحبة الشهوة إلى توافق في الطبائع يكون **العشق**. ومن هذا يدخل الغلط على من يزعم أنه يحب اثنتين، ويتزوج من **امرأتين متغايرتين**، فإنما هذا جائز من جهة الشهوة ويسمى محبة على المجاز لا على التحقيق. وأما في الحب الأصيل فما للمحب من وقت أو جهد يصرفه على غير محبوبه من أسباب دنياه، فما بالك بأن يشتغل قلبه وفكره بحب ثان؟(**طوق الحمامة لابن حزم الأندلسي- باب من لا يحب إلا مع المطاولة**).

على أن الكثيرين من المفكرين من غير المسلمين لا يذهبون إلى هذا المذهب عند ابن حزم وعند غيره من علماء النفس، وفي ذلك يقول **إميل لودفيج** مثلا إن عدم تعدد الزوجات من مضار النصرانية، لأنه مخالف للطبيعة، حتى إن أكثر الحيوانات، نشوءا واقتصاراً على زوجة واحدة، ليست كذلك إلا في بعض الأدوار. ويقول **لودفيج** إن عدم تعدد الزوجات ممكن في جزيرة منفردة، لأن الناس في الجزيرة يكونون مجبرين حينئذ ومحكومين بالظروف، وأما استمرار الزوجين في الأحوال العادية فهو مسألة اختيار، ففي الزواج يوجد فردان، وائتلافهما يتوقف على ما يمكن أن تلتقي عليه اتجاهاتهما. ولربما لا يفرق **لودفيج** بين الحب والزواج، ومن الزواج ما يمكن أن يكون دارجا أو عاديا ويستمر كذلك, ومن الممكن أن يقوم الزواج بلا حب، وحينئذ ينبغي أيضا التفريق بين الحب والجنس. والزواج القائم على غير الحب هو علاقة

جنسية أو علاقات أخرى اجتماعية أو دينية أو غير ذلك، وأما الحب فهو اقتران بين نفسين يحفل بالمد والجزر، وجدانيا أو عاطفيا، وحسيا أو شبقيا، فإذا قام الزواج على الحب فهو النعمة الكبرى والقوة العظمى، وليست الرغبة في الولد من مثل هذا الزواج إلا محاولة لاستدامة السعادة وممارسة الخلود لأرق وأرهف المشاعر الإنسانية.

والغيرة من المشاعر التي لا تكون إلا مع الحب، وهي رغبة تكون بالمرأة أو الرجل للاستئثار بشخص المحبوب، ومن ثم يخشى أن يفقده، أو أن يعيد تقويم الموقف، وينتقد نفسه، وينسب إليها بعض أسباب انفضاض المحبوب عنه، ويستشعر لذلك بكراهية للآخر الذي أفلح أن يختطفه منه.

والغيرة ترجع إلى الموقف الأوديبي منذ الطفولة، وأساسها العلاقات بين الطفل وأبويه، وما يتولد عنده من مشاعر، سواء كان ذكرا أو أنثى، تجاه الأب أو الأم، وما يتفجر في نفسه من صراعات، يتوقف على حله لها ما يمكن أن يقوم بينه كبالغ وبين الجنس الآخر.

والغيرة هي تكرار لتجربة الخوف من فقد الأم أو الأب في الطفولة. وقد تزيد الغيرة وتؤدي إلى الشك والارتياب، وتصبح هذاء يلاحق صاحبها دون سبب يسوغها، فيعتقد الرجل مثلا أن لزوجته علاقة بآخر ويتهمها بذلك، ويفسر أشياء رآها أو سمعها تفسيرات تخدم اتهاماته. ويشاهد ذلك كثيرا عند **مدمني الكحول والمخدرات**.

وقد يبدي الرجل غيرة على زوجته، والحقيقة أنه يغار منها، بسبب لواطة كامنة فيه تدفعه دفعاً لأن يرغب في منافسه عليها، ولكنه يقاوم رغباته ويقلب الوضع، ويسقط ما به على زوجته ويتهمها بما فيه. ومما يدعو الرجل مثلا أن يتعشق غريمه، أن تفكيره يذهب به إلى أن يفتش عن الخصال التي يملكها هذا الغريم، والتي مايزته عند زوجته عليه، ويقضي ليالٍ بطولها يفكر ويتخيل وجود مؤهلات في منافسيه ويلوم نفسه على عدم امتلاكها، ويحسده عليها، ويتمنى أن تكون له. والغيور لا يبحث عن فضائل المنافس إلا في رجولته، وينسب إليه رجولة وفحولة ليستا فيه. ومن النادر أن تجد الرجل أو المرأة التي تتسامح مع منافستها. ومن العسير أن نجد على الدوام شخصيات مثل **فولتير**، الذي ضبط في الأربعين من عمره خليلته بين ذراعي أحد تلاميذه، فاكتفى بتعزيره ولامهما على أنهما لم يستترا.

والغيرة عند الرجال بخلافها عند المرأة، **فغيرة الرجل** خوف وغضب من أن يفقد ما يمتلكه، بينما غيرة المرأة خوف وغضب من أن تفقد من يملكها. وكذلك يختلف **حب الرجل** عن حب المرأة، ذلك لان الأول يستهدف امتلاك المرأة بحيث لا يكون لها كيان إلى جانب كيانه، بل تفني في كيانه، ويعبر عن ذلك اجمل تعبير **دكتور صلاح مخيمر** فيقول أن ذلك يتم كما تستحيل التفاحة عبر عملية التمثيل إلى دم في عروقه، بينما في الاتجاه لمضاد يستهدف حب المرأة للرجل أن

تفني في كيانه فلا يكون لها وجود إلا ضمن وجوده. والى هذا النوع الأخير القائم على مقولة **الملكية في الحب** تنتمي مشاعر الحب عند الصوفية، ولم تكن **رابعة العدوية** تطلب النعيم أو تهرب من الجحيم وهي تقول بالحب الإلهي ولكنها كانت تهفو أن يضيع كيانها في هذا الحب، وان يتوحد بالله سبحانه (**صلاح مخيمر، سيكولوجية الحب**).

وينسب **الدكتور مخيمر** المعاناة في الحب إلى التفرقة بين **اللذة** في الحب التي تنتهي بنشوة الانعاظ، وبين **الاتجاه** إلى هذه اللذة وهو السلوك الذي يسبقها. ويميل بعض الناس إلى التوقف عند هذا السلوك ويستديمون ما فيه من لذة ويسميها الفرويديون **لذة الاحتجاز**. وينسب كل الشعراء العُذريون الى هذا الأسلوب الاحتجازي في الحب، حيث تتحقق اللذة من خلال المعاناة. والشاعر العذري يجد لذته في الأنين، وسعادته في أن يعيش هذا **الاتجاه** إلى اللذة دون أن يبلغها حقيقة، فان يعيش في توتر وانتصاب دائم خير له ألف مرة من يبلغ الهزة ثم الارتخاء من بعد ذلك والعدم. والمحب الحقيقي هو هذا الذي يستديم اللذة في عدم تحقيقها، لان تحقيقها يعني أن حبه جنسي، وعدم تحقيقها هو الذي يرفع حبه إلى مستوى العطاء. ونعلم أن المحب إذا يحب فإنما لانه يجد نفسه فيمن يحبه، فهو في الحقيقة يحب نفسه في الأخر، وهو إذ يتوجه بالحب لنفسه فذلك منه نرجسية، ولكنه إذا يتوجه به لاخر فذلك منه غيرية، غير انه أيضا وهو يعطي المحبوب يعطي نفسه لانه

يرى فيه نفسه، وبقدر ما يستمر ذلك منه بحيث يعطى على الدوام، فانه يتعد بحبه عن اللذة إلى **السعادة**، ولذلك نجد المحبين يستدعون هذه السعادة باصطناع **الهجران** لبعض الوقت، لان الهجران معناه عدم تحقق اللذة بالوصول، فيطول " **الاتجاه إلى** " ولا يكون اللقاء. ثم أن **الوصول** لا تكون له حلاوة إلا على أرضية من الغياب، بالإضافة إلى أن للانتظار أو للغياب أو" **للاتجاه إلى** " لذة أصلية، هي التي تشكل صميم الشقاء في الحب. ولعل ذلك هو سر ثراء الحب غير المتحقق الذي يكون فيه منال المحبوبة من المستحيلات، وفيه يقترب سلوك " **الاتجاه إلى** " من الكمال، فعندئذ لا يكون الحب إلا عملية " **اتجاه إلى** " دون أن تشوبها أية مخاوف من بلوغ غاية العدم التي تهدد علاقة الحب العادي بالانقضاء. وشبيه بذلك الحب **الصوفي**، الذي هو معاناة، انتظارا لاتحاد لا يتحقق، ولكن الصوفي يظل يأمل فيه. والمحب غير المؤمل، والصوفي الذي يعيش على الرجاء كلاهما لذته أن يعيش التوتر الذي يهيئه له الحب المستحيل، ومن ثم يستحيل نعيمة إلى جحيم، كما أن جحيمه هو في ذات الوقت صميم النعيم، وهذا هو ما يسمونه **الجانب الجدلي في الحب**. غير أن **الحب المتبادل** هو أسمى آيات الحب، ولذلك قال البعض **بكوجيتو عشقي** كالكوجيتو الديكارتي، وبدلا من أن يقولوا مع ديكارت **أنا أفكر**، **فأنا موجود**، يقولون **أنا في حب حقيقي متبادل وإذن فأنا موجود**. وعندما يعثر

المرء على هذا الأخر الذي يحبه ويبادله الحب، ويكون الواحد للأخر، فعندئذ يكتمل وجود كل منهما بالاخر، ويعيشان معا في حالة حب دائم، أي حالة **اتجاه كل منهما إلى الأخر**، وهذه هي **السعادة** وليست اللذة. ومع ذلك فان كل إنسان لا يمكن أن يعيش حياته في **المستوى النفسي** البحت، وذلك لانه نفسي بقدر ما هو بدني، وهذه البدنية ستتدخل في الحب فتقويه في بعض الحالات، وتضعفه في حالات اخرى، وتهدده في حالات ثالثة، والحب حتى العذري ستغلبه البدنية البشرية بين حين واخر فيعيش المحبان الهزة التي ينقضي بها التوتر، ولتنتهي بها دورة، وتبدا بعدها دورة أخرى، يستأنف بها الحب مسيرته من جديد دون توقف.

وقد يقال أن الحب **يتدعم** بالزواج وبالإنجاب، إلا أن التحليل للعلاقة بين المحبين قبل الزواج وبعده يتأدى إلى القول بوحدةٍ، عناصرها الرجل والمرأة فإذا جاء الولد فان الحبيبة تصبح اماً، ويصبح الحبيب أبا. وترى الام في ولدها صورة **العشيق الأمثل** الذي كانت تطلبه، وتربيه على هذه الصفة. ويرهص هذا الوليد أن يكون امثل تجسيد **للانيموس** في أعماقها، وبذلك يتراجع لديها الحبيب الزوج أمام طفلها. وبنفس الدرجة تبدو الطفلة الوليدة كتجسيد **للأنيما** في أعماق الاب، وتتراجع لديه الحبيبة الزوجة أمام هذه الطفلة، وتنفصم عرى الوحدة العشقية إلى وحدتين، إحداهما بين الأب وابنته، وتجمع الأخرى بين الام وابنها. وإذا

جاز أن نقول أن **وحدة الزوج والزوجة** المحبين هي وحدة افقية، فان الوحدتين الجديدتين هما وحدتان راسيتان. وغني عن البيان أن أي علاقة بين الزوجين يكون فيها الزوج بالنسبة للزوجة بمثابة الحبيب والأب معا، هي وحدة تجتمع فيها الأفقية والراسية معا، وتظهر متماسكة وقوية. وكذلك الوحدة التي تكون فيها الزوجة بالنسبة للزوج بمثابة الحبيبة والام معا. وعلى أي الأحوال فان الزواج بعد الإنجاب يقلل الحب بين الزوجين المحبين، بما يتوجه من طاقة حيوية من أيهما إلى الأولاد. ويذهب البعض إلى القول بأنه في الحب الذي يتحول إلى **أسرة**، يلد الحب نقيضه الذي يأتي عليه، ويسمون ذلك **بالتناقض الوجودي الجدلي بين الأبوة والأمومة وبين الأبناء**، والذي يبلغ ذروته في مراهقة الأولاد. وإذا كان الحب من الممكن أن يجمع بين الزوج وزوجته في وحده، ومن الممكن أن يجمع بين أي من الأبوين في وحدة مع الطرف المغاير جنسيا من الأبناء، **فثمة وحدة ثالثة** قد تجمع بين الأخ وأخته، فترى الأخت في أخيها كمال أبيها، ويرى الأخ في أخته كمال امه. وللوحدة بين الزوج وزوجته جانبها البدني والنفسي معا، إلا أن تحريم الام على الولد، وتحريم الأب على البنت، والأخ على اخته، يسلب الوحدتين الأخريين من الجانب البدني، ويجعل الولد والبنت والأخ والأخت يسعون للعثور على طرف بديل، يكون لهم بمثابة المقابل والمماثل معا، والذي به ومعه يكون الولد أو البنت في وحدة حب،

تمضي به أو بها من عشق الام أو الأب إلى عشق الأخت أو الأخ، ثم الى عشق الحبيب أو الحبيبة، على نحو تصاعدي يرتقي بالطاقة الشهوية اجتماعيا، وذلك ما تقضي به الضرورة الاجتماعية التي لا تغلق الأسرة على نفسها، وتتيح الفرصة للأسرة أن تتصاهر وتتناسل، ويقوم من وحداتها الاجتماع والمجتمع.

وقديما لم تكن الام والأخت محرمتين، الأمر الذي يجعلنا نقول إن الرجل ينطوي من حيث المبدأ على إمكانية الاتجاه الشهوي إلى الأم، وإلى الأخت وإلى الابنة، إلا أن الحضارة التي نعيشها على عكس حضارة الفراعنة والآسيويين القديمة، قد أخضعت ذلك للكف وحرمته، ولهذا ترى الرجل والمرأة يعيشان هذه العلاقات بصورة بديلة. وإننا لنرى ذلك بصورة مدهشة في حياة **الرسول عليه الصلاة والسلام**، فالنظرة إلى الترتيب الزمني لزيجاته يطلعنا على الانتقال من **الزوجة الأم** (السيدة خديجة)، إلى **الزوجات الشقيقات**، وأخيرا إلى **الزوجة الإبنة** (السيدة عائشة). وإننا لنرى أن الحب الذي يقوم بين رجل وامرأة تكون فيه المرأة بديلا عن الأخت يقوم على المنافسة بين الاثنين ويشتمل على صراعات كالصراعات والمنافسة التي تكون بين الإخوة، وذلك نوع من الحب يبعد به عن أن يكتمل ويتوطد وينجح. وكذلك الحب الذي يكون بين الرجل وبديلة الأم، فإنه يفرض على الرجل سلبية لا تتفق مع دوره الرجولي. **والحب الكامل** هو الذي يقوم بين الرجل وبين حبيبة

تكون **زوجة وابنة**، والزوجة الإبنة هي أكثر ما يناسب الرجل مسايرة مع طبيعته الرجولية، ونضجه، ودوره القيادي في الحياة. وإن تحقق البنوة في الزوجة يجعلها تتعلق بالزوج، باعتباره بديل الأب، فإذا التقى هذا التوجه الأوديبي بين الزوج الأبوي وبين الزوجة البنوية، فإن كلاً من الدورين يعزز الآخر، وبذلك يكتمل الحب ويتأكد وكذلك كان حب أعظم رجالات العالم، وأعظمهم جميعا: **كان حب الرسول عليه الصلاة والسلام لعائشة رضي الله عنها وأرضاها.**

وينبغي التمييز بين الحب كعاطفة وبين أن يكون الحب علاقة بدنية، وذلك أن الإنسان هو كيان نفسي كما هو بدني، وتنتمي ظاهرة الحب إلى الجانب النفسي، بينما ينتمي الجماع إلى الجانب البدني. والحب كسلوك عشقي له هذه الاستقلالية النسبية وأن ظل مع ذلك وثيق الصلة بالسلوك البدني الجنسي. ومن الممكن أن يوجد **الحب العشقي** دون أن يتحقق في جماع شبقي. وكما أن وظيفة الفم الغذائية يمكن أن تصبح نفسيا المرحلة الفمية من التطور النفسي الجنسي، وكذلك وظيفة الإست الإخراجية، يمكن أن تصبح المرحلة الشرجية، فإن وظيفة **الفرج التناسلية**، يمكن أن تتحول إلى مرحلة عشقية، يتأكد بها الحب، ويصبح سلوكا نفسيا من غير أن تشوبه البدنية. ولذلك فإن هناك من يقول إن الرجل قد ينشئ علاقة له بامرأة على المستوى البدني، بينما تكون له على المستوى النفسي علاقة بامرأة أخرى.

وكذلك الحال مع المرأة، بمعنى أنه لا خيانة في وجود علاقتين لرجل بامرأتين، أو لامرأة برجلين، وذلك طبعا من **الناحية الموضوعية البحتة وبعيدا عن الأحكام الأخلاقية**.

ويذهب بعض المحللين إلى القول بوجود مستويات في العلاقة بين الرجل والمرأة، فهناك المستوى الروحي، والمستوى العقلي، والمستوى النفسي، والمستوى البدني. **والحب الأمثل أو الكامل** هو الذي يتحقق فيه الإشباع على كافة المستويات السابقة، فإن كلا منهما قد يسعى لاستكمال النقص خارج هذه العلاقة. وإننا لنسمع عن أزواج متفاهمين عقليا ولكن الزوج أو الزوجة يجدان الراحة النفسية أو الإشباع الجنسي مع آخر.

وقد يتساهل المجتمع عندما يخون الزوج، ولكنه لا يتساهل إزاء خيانة المرأة، وذلك أنه مجتمع ينظر إلى الرجل باعتباره ذاتا، بينما المرأة موضوعا. والمرأة ما تزال في كل المجتمعات ملكية للرجل، وتنتسب إليه، ومن ثم فخيانتها هي إهدار للملكية، واعتداء على حق من الحقوق الثابتة والتي يقوم عليها الاجتماع الإنساني حتى الآن. ومن ثم يذهب بعض المفكرين إلى اعتبار **غيرة الحب من مقولة الملكية**، وليس لها دخل بالحب نفسه. ولكننا نرى في نفس الوقت إن الغيرة لا تكون من الرجل فقط، فهي عند المرأة أيضا، والغيرة باعتبارها خوفا على موضوع نفيس نملكه ولا يمكن تعويضه أو باعتبارها شعورا يُستنفَر لدى الشخص

ويدفعه للدفاع عما يملك ضد إمكان أن يغتصبه الغير، قد لا تكون لدى المراة، او قد توجد على المستوى المادي عند الرجل وحده. ولكن الغيرة على **المستوى النفسي** توجد عند **الرجل والمرأة** على السواء، وهي على هذا المستوى قلق على الموضوع، ففي علاقة الحب الأمثل يكون **الرجل ذاتا وموضوعا**، وكذلك المراة، بمعنى انه يحب باعتباره ذاتا، وهو أيضا محبوب كموضوع، ومن ثم ينتاب خوف من أن يفقد الموضوع الذي هو ذات في نفس الوقت، وله مقوماته التي تشد الذات الأخر إليه. وبينما نجد أن الغيرة على **المستوى المادي** تنتمي إلى مجموعة المخاوف التي تسيطر على الشخص في المرحلة الفمية، وتدفعه إلى السلوك السادي باعتبار الخوف هنا هو خوف الذات أن تفقد موضوعا تملكه وتعتبره من امتداداتها، فان **الغيرة على المستوى النفسي** تنتمي إلى مجموعة المخاوف من المرحلة الشرجية حيث يكون الظهور الأول للعطاء في حياة الطفل، وحيث يتخذ التهديد صورة إفراغ الذات من محتوياتها، أو إفراغ الأحشاء. ولعل هذا هو ما يفسر ما تستشعره الذات في حالة القلق الخاص بالحب على المستوى النفسي من أحاسيس **انتزاع الأحشاء**. ويعبر العطاء الذي هو خاصة هذا النوع من الحب عن نفسه في شكل **اسهال وقيء** ينتاب الشخص الذي يستبد به القلق من فقدان محبوبه، وفقدان المحبوب لا يعني هنا فقدانا لموضوع نملكه، ولكنه يعني **ضياع الذات** وانعدام الوجود بالنسبة لها. **والخيانة**

في الحب على هذا المستوى تحمل كل معاني ودلالات التهديد للذات، والقلق الذي تستشعره الذات إزاء الخيانة هو قلق قوامه التهديد لوجودها.

والبُغض نقيض الحب، ويعني النفور من شخص ما أو موضوع بعينه، وقد يدفع ذلك إلى إلحاق الأذى به أو الاعتداء عليه مجازا أو على الحقيقة. والبُغض قد يعني أن الموضوع قد استحال على المبِغض، وهو يبغضه لانه قد ترفع عليه، أو لانه قد جعله يحس بأنه اقل منه، ومن ثم يكون البغض نوعا من الثار يوقعه المبغض بموضوع البغض، أو ضربا من الدفاع، يدفع به المبغض عن نفسه انه أدنى من الأخر، أو اقل شانا.

والبغض عند فرويد من فعل الغرائز العدوانية أو غرائز الموت، بينما الحب بتأثير الغرائز الجنسية، ومن ثم فالحب بناء والبغض هدام. والبغض موجود على المستويات الثلاثة للجهاز النفسي، فهو في مستوى **اللاشعور** دافع عدواني، وفي مستوى **الأنا** هو شعور يحس به المبغض، وقد يدفعه على وعي منه إلى ما من شانه أن ينتقص من الأخر ماديا أو معنويا، وفي مستوى **الأنا الأعلى** يتوجه إلى ذات الشخص وتصدر عنه مشاعر الذنب والنقد.

وتتفاوت الشعوب في الحب، وقيل أن **المرأة الفرنسية** تمارس الحب على طبيعتها ولا تستنكف أن تظهر عواطفها جهارا من

غير حياء. وقيل أن **باريس** هي المكان الوحيد في العالم الذي يمكن فيه أن يتعانق العاشقان دون أن يلفت ذلك المارة، على عكس **إسبانيا وإيطاليا** حيث ما تزال المرأة يحمر وجهها حياء، ويمكن أن يثور الرجال للشرف ويتقاذفون بالرصاص. وقيل انه لهذا السبب كانت **الكوميديا في فرنسا عن الحب**، بينما لم يكتب في الحب في **إسبانيا وإيطاليا** إلا في **المآسي**. وأما في **ألمانيا** فالحب كما يقول شعراؤهم يورث الهم، والهم يعني الحرمان والعذاب، وعندئذ يكتب الناس الشعر، واروع الشعر الألماني عن الحب، **والمرأة الإنجليزية** كالألمانية تقدر الكلمة كرسول للغرام ولكنها لا تعرف الحرمان. وهي اقل رقة من الألمانية، ومعنى ذلك أنها عملية اكثر، ولعل هذا هو سبب نجاح الإنجليز في التجارة والمال عن الألمان. والحديث عن الإنجليزية يجر إلى الحديث عن **الأمريكية**، وهي اقل نساء العالم الغربي معرفة بالحب، لان المبادئ الأمريكية في الحياة هي الحركة والتقدم والنجاح، وهي أمور تناقض نشوء الحب ولا تلائمه. ولعل خير أنواع الفلسفة التي تصدر بحق عن الثقافة الأمريكية هي **البراجماتية**، وهي فلسفة عملية ومن ثم كانت الأمريكية براجماتية. وهي تجرب الحبيب وقد لا يعجبها من بعد، وقد تتزوجه وسرعان ما تطلب منه الطلاق، وتعد أمريكا من أعلى دول العالم في معدلات الطلاق. والأمريكي من اكثر الناس سذاجة في أمور الحب، واشدهم جهلا في مسائل النساء. وليس اسهل على الأمريكي أن يتوجه مباشرة إلى دعوة

المرأة التي يريدها إلى المضاجعة.(**الحياة والحب، تأليف اميل لودفيج**).

والحب عند العرب يختلف عنه عند الغربيين، وهو عندهم قد بلغ من الفن درجة يتجاوزها أي وصف. وبينما لا نجد في كل لغات العالم للحب إلا **كلمة أو اسما واحدا** (في الإنجليزية **love** ، وفي الفرنسية **amour** وفي الإيطالية **amore** ، وفي الألمانية **liebe**) نعثر في **مخصص ابن سيده** على **أربعة عشر** اسما له، فهو العشق، والعلاقة، والولوع، والهوى، والجوى، واللعج، والشغف، والتيم، والتبل، والتدلة، والهيام، والصبوة، والوجد،، والغرام. وليس في أية لغة أخرى ما يضاهي هذه الكثرة من الأسماء للحالات النفسية المختلفة للحب، والتي تدل على دراية وعلم بها عند العرب لم يتسن لغيرهم من الشعوب. وفي **مخصص ابن سيده** أبواب لصفات وأسماء أعضاء الذكورة والأنوثة، ونعوت النساء في الجماع، وذلك دليل انشغال بأمور الحب الجسدية وغير الجسدية لم نعرفه في ثقافة أخرى من الثقافات. وليس في الثقافات الأخرى بقدر ما في الثقافة العربية من أوصاف لحالات **الوجد الصوفي**، وليس فيها هذا الكم الهائل من **المتصوفية وشعراء الصوفية**.

ولقد حاول **فرويد** أن يتصدى بالشرح للحب الصوفي فخصّ مشاعره بوصف **المشاعر الأوقيانوسية أو المحيطة** وهي نوع من الفيوضات الوجودية، تشتمل المرء حتى ليشعر بنفسه وقد وسع كل

العالم من حوله والوجود كله. وتطلق الصوفية على ذلك اسم **الاتصال** حينا، و**الاتحاد** أحيانا، فأما **الاتصال** فإن الصوفي به ينفصل عن نفسه إلا عن الوجود بعامة فيرى نفسه فيه، ويقول إنه يرى نفسه في الله، ولا يرى ولا يسمع إلا الله ولا يشهد سواه، ولا يتصل بسرّه خاطر لغيره، وأما **الاتحاد** فهو الفناء في الوجود عما سوى الوجود، حتى أن الصوفي لا يرى في نفسه غير الله، وقد يصبح كما فعل الحلاّج أنه الله، بمعنى أنه قد فني عن الأوصاف النفسية ولم تبق له إلا الأوصاف الكلية.ويقول فرويد إن **الشعور المحيط** فطري لدى البعض، وبينما ينضج الغالبية من الأطفال بحيث يقوى فيهم الأنا، ويحبون موضوعات بعينها، فإن البعض الآخر وهم القلة يتوجه حبهم إلى الناس جميعا، والعالم كله، والوجود بأسره. وهذا الحب أو تلك المحبة للآخرين، ولكل ما سوى أنفسهم، هو أصل ما يعرف باسم **الخير والحق والجمال**.

ويقول **فرويد** إنه بينما يقوم الاجتماع الإنساني على هذه العلاقات الجزئية بين الأفراد من الجنسين، وبها يستمر النوع الإنساني ويكون التناسل والتكاثر، وذلك أصل ما يسمى **بالعائلة**، وهو نهج الغالبية في الحياة، فإن البعض قد يسمو بغرائزه الجنسية، وبدلا من أن تتوجه محبته لموضوع بعينه، يتصل به ويتناسل، فإنه يوزع محبته على أكثر من موضوع، وينشرها دعوة، ويجد في دعوته وشعوره الفياض الغامر للجميع وللإنسانية برمتها تحقيقاً لمبدأ اللذة، فلذته هي في **التعشق**

لخير الناس، وهو يهب الناس حياته، ويتوقف على نفعهم نفسه، وذلك **أسمى ما يمكن أن ترتقي إليه الغريزة الجنسية**.

ويفسر **كورت ليفن** الشعور المحيط أو الأوقيانوسي بأن الأنا فيه لم تنفصل عن العالم الخارجي، بحيث ما يزال الشخص يرى نفسه في هذا العالم، ويردّ ربما إلى تجارب الطفولة الأولى، على الرغم أن الشخص في طفولته لم يحقق لنفسه فطاما عن ثدي أمه، فما يزال مرتبطا بهذا الثدي، ويرى نفسه وهذا الثدي واحدا، ثم إنه **يستبدل بالثدي العالم** ويتوحد به.

وقيل إن الشعور الأقيانوسي مصطلح حديث، فالأقيانوس أو البحر المحيط والإبحار فيه، ومعاناة مثل هذا الشعور بالنسبة للمسافر عبره، لم يكن إلا مؤخرا في عصر المراكب الكبيرة، وأما في الماضي فلم يكن هذا الشعور يتسنى لأن يخبره سوى المسافر في **الصحراء**، حيث الامتداد والسعة، والتهيؤ للنفس أن تشعر بهما، أو كما يقول أهل الاصطلاح حيث تتسع الأنا وتكبر وتمتد لدرجة أن تحتوي العالم والوجود بأسره. وذلك فإن الديانات الكبرى نجدها قد نشأت في **الصحراء** وحولها، ومن ذلك ديانة إبراهيم، وموسى ومحمد عليهم السلام.

الغزل الجنسي عند الحيوان والإنسان

للعملية الجنسية **دورة** تكون فيها البداية، حيث تكون لأحد أفراد الجنسين ملامح وصفات جنسية تستهوي فردا من الجنس الآخر، بزعم أن هذا الآخر له صورة مثلى لما ينبغي أن يكون شريكه في الجنس. والملامح والصفات تستثير الصورة الذهنية، وتقع المحبة باستثارة هذه الصورة، فيكون **الغزل الجنسي** وهو محاولة استمالة، فإذا نجحت وكانت ملامح هذا الفرد أيضا موافقة لصورة مثلى عند الطرف الآخر فإننا نقول إنه قد حدث **تراض جنسي**. والغزل عند الإنسان ربما كانت وسيلته الصوت، أو الرائحة، أو الحجم، أو الحضور النفسي. **والحضور النفسي الجنسي** هو ميزة للإنسان، وذلك أن الغزل في الكائنات الحية له كل الوسائل السابقة إلا الحضور النفسي، والحضور النفسي للذكر هو ذكورته وفحولته. والحضور النفسي للأنثى نحس فيها بأنوثتها طاغية، بحيث تكون هي العنصر الغالب في الموقف النفسي الجنسي الذي يضم الرجل والمرأة. وفي الغزل الجنسي **عند الحيوان** تكون الملاعبة والملاطفة، ثم تكون علاقة التراضي الجنسي أن يلتقي الكائنان الذكر والأنثى في

موقف التهيؤ للسفاد. وفي الإنسان يكون التراضي الجنسي، بالملامسة، ثم الاشتباك، فالتهيؤ للجماع، بمقابلة الفم للفم، والفرج للفرج، فإذا كان الإيلاج تكون المرحلة الثالثة وهي **المواقعة**.

وفي علم الجنس الذي يتناول الجنس عند البشر تولي مرحلة المواقعة كل الأهمية دون المرحلتين الأخريين، وذلك لأنها المرحلة التي يحدث فيها الحمل، ولها مترتباتها ونتائجها وبحوثها في الإخصاب والإجداب، وفي حالات استخدام موانع الحمل، وعند الولادة والنفاس، ولذلك فقد فصلت عن المرحلتين السابقتين لها واللتين جرى عليهما **المنع والحظر والتحريم**. ويحاول العلم الحديث إخضاع المرحلتيين السابقتين للدراسة والقياس، وخاصة المرحلة الثانية وهي **مرحلة التراضي الجنسي**، حيث أن الجنسين ربما يتراضيان، وتبدأ المواقعة ولكنها لا تتم لسوء وظيفة له أسبابه النفسية، ومن ذلك قمطة المهبل النفسية، وسوء الجماع، والبرود الجنسي عند النساء، والقذف المبكر، والعُنّة، واللاإنعاظ عند الرجال، وأغلب الاضطرابات الجنسية في مرحلة التراضي الجنسي، وأقلها في مرحلة الغزل، التي تعاق إذا كان الذكر أو الأنثى يعانيان من فوبيا جنسية، كالخشية من الذكور او من الاناث، او من الجماع، او من الحمل. ومرحلة الغزل، وان كانت الدراسات قد بدأت تتناولها، واشهرها **دراسة كينزي حول السلوك الجنسي عند الأنثى وعند الذكر**، إلا أن القول الأكثر فيها هو موضوع **للأدب وخاصة الشعر**.

والغزل في الكثير من الحيوان والطيور وسيلته الفم أو الأنف أو المنقار. والحيوان في الدورة **النزويه** تفرز الإناث مادة لها رائحة، وتصدر عن الفرج فيتهيج الذكر بتشممها. وحتى لو كان الذكر على مسافة، فان الرائحة تجذبه، ولعل ذلك يفسر لنا تجمع ذكور الكلاب والقطط مثلا خلف الإناث في موسم التزاوج. وتفعل أنثى الإنسان نفس الشيء تقريبا، وتستخدم العطور القوية لتشد بها حاسة الشم في الذكور، ويعرف أصحاب مصانع العطور التأثير الجنسي القوي للعطور، فيطلقون عليها أسماء جنسية مثل شذى الليل، والجاذبية، والجنس، والحب. ولا يدري علماء الجنس في الحيوان سبب اختيار الأنثى لواحد من الذكور دون بقيتهم، وان كان هذا السبب في الإنسان مفهوما بعض الشيء وليس في كل الأحيان. ولأنثى الإنسان رائحة خاصة، وكذلك لفرجها رائحة خاصة مهيجة للذكر. وكما تختلف الأجناس في رائحة العرق تحت الإبطين مثلا، فالنساء يتخالفن كذلك وان كان هناك إجماع على الرائحة الأنثوية. ولعل هذه الرائحة الأنثوية هي التي يشتد تشممها ببعض الذكور، وتكون خاصة لهم حتى ليبدو غرامهم بالروائح الأنثوية كالشذوذ، وقد يشذ الرجل فيكون به شبق حتى لرائحة بول الانثى، وللعرق تحت إبطيها. وبعض الرجال يحبون لعق هذا العرق، وله لديهم رائحة وطعم مهيجان.

والتقدمة الجنسية هي الاسم العلمي الذي يفضل اسم **الغزل الجنسي**، حيث الغزل هو باب من أبواب الشعر، أو انه اسم ادبي ولا يتضمن الإيحاءات العلمية. وفي **التقدمة الجنسية** يمكن أن تطول وقفة البعض، حتى ليجعل منها غاية في ذاتها، وقد ينعظ اثناءها الرجل أو المرأة على السواء، وذلك من الانحرافات الجنسية. ومن ذلك أن تتركز الاستثارة والتهيج في **الشفتين**، فيكون التقبيل العميق أو اللعق والمص، أو تتركز في **النظر** فيكون شذوذ التنظّر الجنسي، وهو يفضي أيضا للأمناء بدون ايلاج. وللغزل أو التقدمة الجنسية **لغة** بالجسم كما بالكلام. ويبدو انه في التقدمة تكون أعضاء الحس بالوجه أهم ما يستخدمه الحيوان والإنسان، وتأتي **العينان** في أول الترتيب قبل الفم أو الأنف، وللعينين ميزة النظر عن بعد، ابعد من قدرة الأنف على التشمم. ومن الثابت **أن الذكور لديهم النظر الجنسي أقوى** من الإناث، **والإناث أقوى فيهن حاسة اللمس**، ولعل ذلك هو ما يجعل **التصور** لدى الذكور، وخاصة في أحلام اليقظة والأحلام الجنسية شديدا، بحيث يمكن أن يمنى الذكر وخاصة في البلوغ والمراهقة. والرجل يرى المرأة عن بعد فيشده منظرها، فيقترب، فتكون الأذن والأنف وسيلة إليها من صوتها ورائحتها، فكأن المرحلة الأولى في التقدمه هي **الإغواء**، **فالانجذاب**، **فالغزل**، وفي الغزل يتوسل الاثنان باللمس. ولكل مرحلة مواضع القوة حتى الشذوذ، أو الضعف حتى الشذوذ كذلك، فمن القوة

الشاذة أن التقدمة قد تفرط وتزيد عن الحد، فيتجاسر الذكر على اللمس مرة واحدة ويتجرأ على الأعضاء التناسلية من غير أن يجد الدعوة المعهودة عند الأنثى، وهذا الإفراط في التقدمة الجنسية قد نجده عند الذكر، وفي أحوال الغزل بين الذكور للذكور، أو بين الإناث للإناث، أو بين الجنسين.

وإفراط التقدمة، أو التعجيل في المقدمة، من سمات مرحلة المراهقة بالمقارنة إلى سنوات العمر التالية، والمراهق يتهيّج بسرعة، ويريد أن ينتهي من المقدمة بسرعة، ليجامع مباشرة. والمراهقون من هذا النوع يتهيجون من مجرد التفكير في الجنس، أو لدى رؤية فتاة أو امرأة تستثير خيالهم. **والخيال الجنسي** عند المراهقين من النوع المفرط في الاستثارة، وقد تستثيره **أسماء** لها عندهم دلالات جنسية، مثل بغي، ومومس، وليلة حمراء، وموعد غرامي، وجلسة غرامية إلخ، وكلها ألفاظ مفرطة الاستثارة الجنسية.

والنقيض لفرط الاستثارة أو فرط الجنسية في المقدمة هو **العطالة الجنسية عن الاستثارة وعن التجاوب الجنسي**، وتكون هذه العطالة الجنسية عند النساء والرجال على السواء، ويبدو الرجل العاطل عن الاستجابة عزوفا لا يتأثر بأي استثارة. وتختلف العطالة من رجل إلى رجل ومن امرأة إلى امرأة، وهي شائعة مثلاً بين المرضى بزملة كلا ينفلتر، ونقص النخامية، نتيجة نقص إفراز الهرمون الجنسي. وقد يبلغ الصبي ولا

يعرف الإمناء، ولا يهمه أن يعرفه، ولا يجرب الاستمناء نتيجة هذه العطالة الجنسية فيه. وهي عرض أولي من أعراض الإصابة بالاكتئاب، والاكتئاب سوء وظيفة كيمائية حيوية بالمخ، ومنه الاكتئاب النفسي حيث يعاني المريض من **انحطاط معنوي**، يترتب عليه العزوف عن الطعام وعن النوم، **وعن الجنس** خصوصا.

الغيرة الجنسية

تعني الغيرة أشياء كثيرة، فهي **أولا** الرغبة في الاستئثار بشخص المحبوب، والخوف من فقده، بأن ينصرف بعواطفه إلى آخر يُؤثره عليه، وفيها لذلك ترقب الهجر، والعتاب الكثير، والارتياب، وهي **ثانيا** كراهية للمنافس أو العشيق، وهي **ثالثا** إحساس من الشخص الغيور بأنه أقل شانا من هذا المنافس، وإقرار منه بحق المحبوب أن ينصرف عنه.

والغيرة غالبا لا أساس لها من الواقع، إلا أن **الغيور شخص غير ناضج الأنا**، ووعيه يعجز عن أن يدرك حقائق الموقف، وهو يميل إلى تضخيم شكوكه بالتهويل مما يلاحظه، وذهنه ينصرف إلى أشياء معينه في سلوك المحبوب، يفسرها على هواه لأسباب في نفسه، وربما كانت به ميول ماسوشية فيشك ليتعذب، أو لأنه يستشعر النقص وعدم الكفاءة، وقد يكون استشعاره للعذاب هو غاية ما ينشده من الغيرة. وربما تكون الخيانة في الغيور نفسه، فيسقطها على المحبوب وينسب إليه ما فيه، وفي **الغيرة المسقطة** من هذا النوع، قد يقصد الغيور بإلصاقه تهمة الخيانة بالزوجة أو الحبيبة، أن يدفعها إلى سلوك تتحقق به غيرته، وقد تكون **غيرته مزدوجة**، بمعنى أنه يبدي الغيرة على الزوجة مثلا، شعوريا، بينما لا شعوريا يغار منها، لأنها استطاعت أن يكون لها عشيق

أو محب كهذا العشيق أو المحب، وهو لا يمكن أن يستشعر هذه الغيرة المزدوجة، إلا إذا كانت به ميول لوطية، فيريد العشيق لنفسه، مثلما هو لزوجته.

والغيرة عندما تزيد قد تكون ظاهرة مرضية، **وهذاء الغيرة** من الاضطرابات العقلية، وهو اعتقاد جازم لدى أحد الزوجين بأن زوجه يخونه، وأكثر ما يشاهد المرضى به في حالات **الإدمان الكحولي**، فيلاحق الزوج مثلا زوجته بغيرته، وربما ليخفي بها عزوفه عنها بسبب عجزه الجنسي، وفي حالات **هذاء المحبين** تتوجه اتهامات الزوج لزوجته بالخيانة،بتأثير ميوله الجنسية الشاذه التي يرفضها وعيه، فيتهم بها زوجته، وكأنه يقول لها لست أنا الذي يرغب في هذا الرجل جنسيا، ولكنه أنت.

وللغيرة عند **فرويد** مستويات ثلاثة لا يختلف كثيرا عما أسلفنا، فهناك **الغيرة التي أساسها المنافسة**، بتأثير خبرات الطفولة من المرحلة الأوديبية، حيث يتنافس الطفل مع أبيه على الاستئثار بالأم من ناحية، وحيث يتنافس مع اخوته على أن يكون أثير الأبوين من ناحية أخرى. والرجل الغيور قد يكون له هذا الماضي من الطفولة ويستمر معه في الرجولة، وهو يكره الرجل الذي ينافسه على امرأته، وفي نفس الوقت يكره امرأته لأنها قد نجحت أن تستهوي رجلا غيره تخصه بحبها عنه.

ويقول فرويد **بالغيرة المُسقَطة**،وتكون بالبعض بتأثير الخيانة التي يستشعرونها في أنفسهم، ولكن وعيهم ينكرها فيزيحونها إلى الزوجة، ويسقطونها عليها وينسبون الخيانة لها.

والمستوى الثالث للغيرة عند فرويد هو **الغيرة الهذائية** ولا تكون إلا في حالات الأزواج الذين بهم جنسية مثلية كامنة، فإذا دخل الزوج الإعجاب برجل، فإنه يلفق المواقف ليوقع فيها زوجته، ويتهمها قسراً بأنها تخونه معه، أو أنه يعجبها وتتمناه، وهو في الحقيقة الذي يرغب فيه، ولكنه يعكس ذلك وينسب لامرأته ما يستشعره في نفسه تجاهه على الحقيقة.

ومن رأي **فرنزي** أن الغيرة تستوجب مواقف أبطالها ثلاثة، هم **المحب، والمحبوب، والعشيق أو العشيقة** الذي يشكل الطرف الثالث. وليس شرطا أن يكون الثلاثة من البالغين، فالولد الصغير قد يغار من أبيه عندما تؤثره أمه دونه بفراشها، وقد يسره أن يراها سعيدة بوجود الأب معها، ويتمثل سعادتها ويستشعرها، إلا أنه يظل يعاني إحساس الغيرة المؤلم ولو لم يُفصح عنه.

والغيرة موضوع مطروق في **الأدب**، وكانت مدار روايات ومسرحيات عظيمة لأدباء كبار مثل **تولستوي وشكسبير**، ولعل مسرحية **عطيل** من الأعمال الكبرى التي تقدم نموذجا رائعا لأخلاقيات الغيور، والموقف من الحياة التي أبطالها الثالوث الأزلي من **المحبوب**

والحبيب والمنافس، على أن أديبا مثل برنادرشو لم يكن يرى في **أدب الغيرة** إلا صورة مما يطلق عليه اسم **الجرائم العاطفية**، أي التي تدفع إليها الغيرة.

والغيرة العادية مطلوبة، والإنسان قد شرف بالتكليف دون سائر المخلوقات، واختُص بالشرف، وكانت له القيم والأخلاقيات، وهو لذلك يغار على أهل بيته، وإلا كان كالحيوانات، ومع ذلك فهناك من الحيوانات ما يغار على أنثاه، والكثير من الحيوانات يموت في سبيل أن يمنع غيره من الذكور أن يطول أنثاه أو إناثه، وإذن فقد تبدو **الغيرة فطرية** في الإنسان وفي غير الإنسان، وهي تتطور في الإنسان وتكون لها معه شأن آخر، وتظهر عند الطفل مبكرة في نحو **السنة الثانية**، وتتضح أكثر ما تتضح إذا جاء طفل آخر ينافسه على أبويه، وقد يكره الطفل أخاه المولود حديثا عندما يراه يستحوذ على رعاية أبويه دونه، وقد يتوجه إليه بالعدوان، أو قد يرتدّ في السلوك ويتصرف بما يناسب مرحلة أسبق من العمر، فقد يُتهته أو يبول على نفسه، أو يكثر من البكاء، في محاولة منه ليلفت انتباه الأبوين، بدعوى أنه قد صار مثل أخيه الصغير. وقد يتحدث كأخيه، أو يمص إبهامه. وفي مثل هذه الحالات يستحسن أن تُزاد له الرعاية بحيث يفهم انه كبير عن أخيه، وأن مجيء هذا الأخ لم يقلل من حبّ الأبوين له، بالإضافة إلى إشراكه هو نفسه في العناية بأخيه، دون أن يكلف بذلك، بل يناط به هذا العمل كمساعدة منه

للأم. ولا ينبغي أن يُحادث كثيرا بشان مجيء هذا الطفل طوال الحمل، وإنما قبل الولادة بمدة قصيرة.

والطفل في المدرسة يغار على صديقة من زملائه، ويحاول ان يستأثر به دونهم، وأن يستميله إليه، وينقد الآخرين أمامه وقد يتوجه إليهم بالعدوان ليبعدهم عنه. وفي البيت قد يغار الطفل إذا رأى الأبوين يظهران اهتماما أكثر بأحد إخوته فيما يسمى **غيرة الأشقاء**، كما فعل **إخوة يوسف**، ولقد تآمروا على يوسف، وادعوا موته ليخلص لهم وجه أبيهم.وكذلك قد يغار الطفل الذكر من أبيه، وتغار البنت من أمها. وعموما فإن الغيرة تنمو في البيوت التي يفرق فيها الأبوان في المعاملة بين أبنائهم. وقد تكون الغيرة دافعا إلى أن يسلك الغيور بعدوانية أو بعناد، كما قد تكون أيضا دافعا له إلى أن يسلك بالطريقة التي ترضي من يحبهم وتستميلهم إليه، فيزيد من تحصيله، وتكون الغيرة طريقا إلى التفوق.

البنات وحمرة الخجل

تستشعر البنات الخجل لسبب أو لآخر، فتحمر وجوهن. ومن الناس من الجنسين من تلازمه **حمرة الخجل** باستمرار، وهي **استجابة جلدية** تحدث تلقائيا عند البنت والولد، ودون وعي من أيهما بما يحدث لوجهيهما، في المواقف المخزية التي يستشعران إزاءها الحرج، وبالطبع تختلف هذه المواقف بحسب الجنسين ونوعية الخبرات عند كل منهما، وبحسب السن والثقافة. وأكثر ما تكون حمرة الخجل **بالوجه**، وهو الجزء من الجسم الأكثر تعرضا للمطالعة من الناس. وتختلف المساحة التي تشملها الحمرة من الجسم، بحسب حساسية الشخص والموقف الذي يحتويه، فإذا كان الشخص مفرط الحساسية ويحس بالخجل أو الخزي الشديد، فإن الاحمرار قد يمتد إلى الرقبة والصدر الأعلى والكتفين. وقلما تحدث حمرة الخجل في المواقف التي لا يكون فيها من يطالع الشخص الذي تأتيه هذه الاستجابة، كأن يكون حديثه إلى الآخرين في التيلفون، أو يكون الموقف في الظلام، فبرغم وجود ما يستثير الشعور بالخجل، إلا أنه لا يحس به لو تحدث في التلفون، أو كان حديثه للآخر في الظلام، وهذا دليل على أن حمرة الخجل **استجابة هستيرية من النمط التحولي**، بمعنى أن الخبرة الانفعالية التي قد نتعرض لها جميعا قد يحس بوطأتها الشخص العادي، إحساسا يترجمه إلى اللغة العادية سواء بالكلمة أو الحركة، وأما في حالة **الخجل الهستيري** فأن المصاب به لا يأتي هذه الاستجابة إلا في حضور الآخرين، وتكون معه بشكل مغالى فيه، بحيث

تكون من سماته الظاهرية التي تلفت إليه المحيطين به، ويعرفونه بها. ولربما تكون هناك علاقة بين الحساسية المفرطة للضغوط وبين الاضطراب. وكان داروين يقول إن الاحمرار قد يأتي الذراعين والبطن، وخاصة المناطق من الجسم التي لا تكتسى بالملابس، أي الأجزاء المعرّضة للنظر من الآخرين، وحساسيتها مرتبطة إذن بأنها منظورة. ومع ذلك فحمرة الخجل قد نستشعرها جميعا بشكل سوي، ونعبر بها أحيانا عن معاناة حقيقية نحس بها، واما إذا كان الشخص يأتيها دون وعي ولا معرفة بأسبابها فإنها غالبا **عَرَض تحولي**، يُستحدث بمقتضى ما يسمى **التكوين الوسطي**، أي أنها تتوسط بين الرغبات اللاشعورية المحظورة التي تريد الظهور والتحقق، وبين العقاب الذي **يستنزله** الشخص بنفسه بسبب هذه الرغبات.

وقيل في تفسير الحمرة إنها **تعبير عن الهياج الجنسي**، وقد أزيح من مكانه الأصلي وهو الأعضاء الجنسية، إلى الوجه باعتباره أكثر أجزاء الجسم انكشافا، في مقابل الأعضاء الجنسية وهي أكثر أجزائه استتارا.

وقيل إن الخوف القديم الذي كان في الطفولة من الخصاء قد يكون أصل هذه الحمرة، فكلما تستبد بالشخص رغباته الجنسية، قد يستثير فيه ذلك الخوف من الخصاء، الذي كان يتهدده به أبوه وهو صغير، والذي نسى أمره وكَبَته ولم يعد يدري بتأثيراته اللاشعورية، فيعبر عنها بهذه الحمرة تأتيه مُزاحة من أعضائه الجنسية، ويصاحبها ذلك

الخوف وهي الدليل على القلق الذي يبدو عليه صاحب هذه الاستجابة.

وقيل في تفسير حمرة الخجل أيضا أن أكثر ما يدفع إليها رغبات لا شعورية أو تطلعية، ودوافع عدوانية، تجعل الشخص يستشعر الخزي منها والخجل.

وقيل إنها دليل على أنا أعلى قوى، له فعله الملموس، فهو دائما بالمرصاد لأي رغبات محظورة، ويدفع بصاحبها إلى الإحساس الشديد بالخزي منها وبالخجل لها.

وقيل إن الذكور الذين يستجيبون بحمرة الخجل يكونون غالبا متعينين لا شعوريا بأمهاتهم بدلاً من آبائهم، وهي الظاهرة التي يطلقون عليها **عقدة أوديب السلبية**، ومن شأن ذلك أن الطفل يتقمص أفعال أمه بدلاً من أبيه، ويسلك سلوكها، ويستجيب مثلها في المواقف المخزية أو المخجلة، بأن يحمرّ وجهه، وينشأ على ذلك.

وقيل أيضا أن البعض الذين يعانون من حمرة الخجل، بسبب أنها تكشف عما يستشعرون الخزى منه أو حتى تفصح عن غضبهم، قد يحاولون أن ينزلوا العقاب بأنفسهم لا شعوريا بسبب هذه الحمرة التي تعلو وجوههم والخوف من أن تفضح نواياهم، وبدلاً من أن يخجل، المريض من نفسه بسبب مشاعره الدونية، فإنه يخجل لأنه يستشعر الخجل، ومن ثم يحاول أن يتحاشى اية مواقف يمكن أن يعاني منها هذه

الصراعات، ونتيجة لذلك فقد تتحول عنده الاستجابة التحولية إلى **فوبيا أو رهاب** يخشى معه مواجهة المواقف التي تستحدث فيه حمرة الخجل ويتحاشاها قدر ما يستطيع.

انتحار المحبين

كثيرا ما يحاول النساء والرجال الانتحار بسبب المشاكل العاطفية أو الجنسية، وتدل الإحصائيات على أن **محاولات الانتحار بين النساء أعلى** منها بين الرجال، ولكن نسبة ما يتحقق منها بالفعل أعلى بين الرجال منها بين النساء.

والانتحار ظاهرة حضارية شاعت في البلدان التي أخذت بأسباب الحضارة، وهو سلوك مُعدّ يقلده البعض، والبعض يرى نفسه في أن ينتحر وقد ينهج على نهجه ويكرر ما يسمعه أو يراه من منتحر. وبعض الناس لهم من مَلَكه التصور بحيث يرون الأمور، ويعايشونها في نفس الوقت بوجداناتهم وعقولهم ومشاعرهم، فيضيفون عليها، ويزيدها خيالهم، وتأسرهم حكايات المنتحرين فيفعلون فعلهم. وليس هناك أكثر ما يثير الناس من **حكايات الحب والغرام**، وفي هذه الحكايات تكون القاعدة أن يحب أحد الناس إحدى البنات أو النساء، ولكن هذه البنت أو المرأة تحب رجلا، يحب بدوره أخرى لا تبادله الحب. وقد يتبادل اثنان الحب ولكنه ليس الحب الرومانسي الذي كان في الزمن الخالي، وسرعان ما يدخله الملل أو يصيب المحبين بالإحباط واليأس. ولقد ثبت أن المنتحر لا ينتحر بسبب الحب إلا لأنه أصلا **شخصية درامية**، فلا هو يعيش إذا عاش كما يعيش الناس، ولا هو يموت إذا حان حينه ميتة الآخرين. ولا بد أن المنتحر الذي يموت يأسا من الحب أو سُقْما، به ميل أصلا لأن يقدم الانتحار على الحياة. ومن رأي **فرويد** أن كل كائن حي به صراع أبدي بين الحياة والموت، والبقاء والفناء، وتغلب إرادة الحياة على إرادة الموت عند البعض، وهؤلاء هم المتفائلون، وتغلب إرادة الموت على إرادة الحياة عند البعض الآخر، وهؤلاء هم **المتشائمون**. ومن الناس من يكون اكتئابه **صريحا**، ومنهم من يكون

اكتئابه **كامنا**، فلا يظهر على السطح، ويداريه بالمرح الزائد. والحياة كمبدأ يقابلها الموت كمبدأ، ومبدأ الحياة يحكم من بعد ذلك، ولذلك فإن **الانتحار يزيد في المراهقة** عنه في الطفولة، **وفي النضج** عنه في المراهقة، **وفي السن التالية** عنه في النضج. ويعمل مبدأ الحياة أو غريزة الحياة التي يطلق عليها فرويد اسم **الإيروس** أو الحب، على التأليف بين الأشياء. ويضمن الإيروس حب الذات، وحب الغير، ويحوي الغريزة الجنسية التي تؤدي إلى بقاء النوع. وأما مبدأ أو **غريزة الموت** أو التدمير فإنها تعمل على هدم الأشياء، وإعادة الكائنات الحية إلى حالة العدم. **وغريزة الموت** تكون بالأفراد فتتجه بهم إلى **خارجهم فيكونون** عدوانيين ويلجأون إلى تحطيم الغير، وقد تتجه بهم إلى داخلهم فيكون تحطيمهم لأنفسهم ولجوءهم إلى الانتحار.

والانتحار في **قصص الحب** قد يكون عن إدبار حقيقي عن الدنيا، ويستهدي ميول المنتحر فيموت يأسا وكمدا. وقيل أن المنتحر غالبا ما تكون لديه **سوابق اكتئاب وتفكير في الانتحار** من طفولته. وقد يكون انتحاره **بطوليا**، يرضي به فكرته المتسامية عن **نفسه**. ويجعل لنفسه لدى الحبيبة صورة يحب أن تكون له عندها. وفي الحب يتراوح **الجانبان السادي والماسوشي**، والمحب الذي يقتل نفسه يمارس الاتجاهين معا، وهو يجرب القتل ويقوم في نفس الوقت بتطبيق ذلك على نفسه. **والمحب البطل**، لأنه لا يحقق حبه، يتمنى موت محبوبه،

ونفسه والمحبوب في منزلة واحدة، ونحن عندما نريد أن نعبر عن **صيغة منتهى الحب** للمحبوب تقول إننا نحبه كأنفسنا، ولكن المحب ينزع من هذه الصيغة **كاف التشبيه** لتصبح إننا نحب أنفسنا. ثم إن المحب يتوجه بتأثير الفشل والعجز والإحباط إلى التفكير في قتل المحبوب، ثم في قتل نفسه وكأنه يقتل المحبوب. ويختار المحب البطل الطريقة التي يموت بها وترضي خياله الجامح ويلفت بها تفكير محبوبته، بحسب ما يريدها أن تقول عنه بعد موته. والمنتحر البطل ينتقل في تفكيره عبر مراتب الوجود، من مرتبة التفكير في الآخرين، إلى مرتبة التفكير في نفسه، ومن مرتبة التفكير إلى مرتبة المعايشة، وهو يعيش الفكر الذي يعتمل فيه، وعندما ييأس من الحب فإن يأسه ينسحب من الوجود برمته، **وانتحاره البطولي هو أعلى مراتب التفكير الوجودي كما يقول شوبنهاور**، ولذلك كان هذا الضرب من الانتحار **خاصة الفنانين والفلاسفة**.

والانتحار في عرف فليسوف مثل **إميل دور كايم** قد يدفع إليه الغير، أو يأتيه الفرد من تلقاء نفسه، أو يكون بتأثير فقدان المحبوب الذي هو بمثابة نفسه. والانتحار الغيري قد توحي به المحبوبة تلميحا أو تصريحا، أو يكون تقليدا في مجتمع يكثر فيه أن ينتحر المحبوب. وفي **الهند** يوجد تقليد يسمى **سوتي** يطلب فيه المجتمع من المرأة التي يتوفى عنها زوجها أن تحرق نفسها مع جثة زوجها المتوفى. وكان قدماء المصريين يختارون فتاة من جميلات العائلات الكبيرة لتلقي بنفسها في

النيل في الاحتفال بوفائه. وفي قصة **روميو وجولييت** يطلب الراهب من جولييت أن تجرب ترياق السمّ، كوسيلة للخلاص من اضطهاد أهلها والهرب مع روميو.

والانتحار الذي يدفع إليه الشخص من تلقاء نفسه يسميه **دوركايم انتحاراً ذاتياً**، والمنتحر فيه لا يستهدي أفكار الآخرين، ولكن فكرة الانتحار تأتيه من داخله، والانتحار الذي يأتيه يستهدف به إنزال العقاب بنفسه، ربما لأنه فشل أن يفوز بحبيبته، أو عجز في الحب، أو فشل في الزواج، أو لأنها خانته وهو يلوم نفسه على خيانتها، وتكون إدانته لنفسه من الشدة بحيث يقضي على نفسه بالإعدام.

والانتحار بسبب فقدان عزيز كانتحار كليوباترا، فبعد أن يموت **مارك أنطونيو** تنعى كليوباترا حظها وتبكي حبها الذي كان، وتجلس إلى جثة حبيبها يعصرها الألم، فلا تجد الخلاص منه إلا بأن تلقى مصير حبيبها، وتخطو الخطوة التي تنقلها من عالم الأحياء إلى عالم الأموات، وكأن فقد المحبوب يجعل المنتحر وكأنه لم تعد له بالحياة روابط، وكأنه كان يعيش من أجله، فلما فقده لم يعد لبقائه في الحياة مبرر. وكان **فرويد** يقول إن التحليل النفسي استطاع ان يحل لغز انتحار المحبين، بدعوى أنه ما من أحد له القدرة المعنوية على أن يزهق روحه، ويقتل نفسه، ويوقف غريزة الحياة فيه، إلا لأنه يعرف أو يشعر أنه بذلك يقتل في نفسه جزءاً لا يمتّ إليه أصلا بصلة، ولكنه استدخله في نفسه وصار

جزءا منها، وهذا الجزء هو **محبوبته**، فهو من فرط حبه لها ومحاولاته احتواءها يتمثلها فيه، **وفرويد** يريد أن يقول أن الشخص الذي يقتل نفسه، لا يتوجه على الحقيقة بهذا القتل إلى نفسه بقدر ما يتوجه به إلى الآخر الذي تمثله فيه واستدمجه بحيث صار هو ونفسه واحدا، أو بمعنى آخر أن انتحار المنتحر هو بمثابة تمّني الموت للآخر، ولكنه يحقق الأمنية على نفسه، وكأن المنتحر إذ يغضبه انصراف محبوبته عنه، أو خيانتها له، أو عجزه عن التوافق معها، يتوجه بغضبه إلى نفسه باعتبارها المحبوبة. ويرى **فرويد** أن الدوافع العدوانية التي تعتمل في المنتحر مصدرها **ثاناتوس غريزة الموت أو التدمير**. ويذهب الوجوديون وأخصهم **مينجز** نفس الوجهة، ويقولون إن الانتحار يمثل انتصار الجوانب التدميرية في الإنسان المنتحر على جوانبه البنّاءة. ومن رأي الوجوديين أن الرغبة في أن نعيش تتوقف على مشاعر تقدير الذات عند الأنا الأعلى، فإذا نقصت هذه المشاعر لسبب من الأسباب، فإن الشخص ينكص إلى الطفولة، ويصير وحيدا مهجورا يعاني من الجوع العاطفي، وتحتدم به رغبات الطفل المهجور من أمه-أمه التي استدمجها فيه وتمثلها في ذاته، ولكنها تهجره فيكرهها ويتمنى لو تموت. والمنتحر وهو يقتل نفسه يحقق لها هذه الرغبة أو الأمنية، بأن يعدم محبوبته في نفسه بعد أن صارت جزءا مستدخلا في نفسه وفي أناه الأعلى. ومن رأي **فرويد وعلماء النفس الوجوديين** أن فقد المحبوبة، سواء في الطفولة أو النضج

والرجولة، له دوره الحاسم في دفع الشخص إلى الانتحار. والطفل يتعلم من صغره أن أمه كلما هجرته تألم، ويواطن نفسه على أن يدفع عن نفسه ألم الهجر والانفصال. وهو يبكي في كل مرة ولكنه يطامن من ألمه ويتعلم أن يتحمله، ويكبر ويظل معه توقع الهجر من احبائه، وهو في كل مرة يهجرونه يطور دفاعاته ضد ألم الهجر، ولكنه في المرة التي تهجره فيها محبوبته لا يقوى على دفع ألم هجرها وتنهار دفاعاته، ويعيد إليه الفراق ألم الماضي الذي عاناه بانفصال أمه عنه، أو بانفصال الشخصيات ذات المعنى في حياته. ومثل هذا الشخص يعاني كثيراً من خيانة أحبائه وغدرهم به وهجرهم له على الحقيقة أو توهماً. وهو في كل مرة تكون له علاقة حميمة بشخص، يتوجس ريبة من هذه العلاقة، ويسأل نفسه متى سينهيها الآخر، ويتوقع انتهاءها. وتتربى لدى مثله ما يشبه **الحاسة الباطنة**، كأنها ساعة زمنية داخلية تنبهه إلى نهاية العلاقة بزمن، وتحذره من الانفصال المتوقع، ولذلك فأمثاله ينتحرون غالبا في **تواريخ معينة** تعود بهم إلى ذكريات عزيزة، كأن ينتحر المنتحر في عيد ميلادهن أو عيد زواجه من زوجته التي توفيت، أو ذكرى لقائه بحبيبته التي تزوجت بآخر، ويطلق البعض على هذا النوع من الانتحار اسم **الانتحار التاريخي**.

واما **المدرسة السلوكية**، فتفسر انتحار المحبين بأن المحب إذ يبأس من محبوبته، فإنه يلجأ إلى الانتحار كسلوك لم يجربه من قبل،

ولكنه يمكن أن يجد له نتيجة لن تتحقق له إذا استمر على موقفه اليائس. **والسلوك الانتحاري** هو السلوك الوحيد المتاح لإنسان نضب معين حِيَلِه، ولم يعد بوسعه أن يجرب طريقة أخرى مع محبوبة استنفذ معها كل الطرق، وهو ينتحر لعله يصيبها بالحسرة والندم على انتحاره بمثابة **العقاب** ينزله بها، ومن ثم فهو سلوك مفيد.

والمدرسة الإنسانية تذهب إلى أن المنتحر إنما يقدم على الانتحار لأن موقفه الوجداني ينعكس على موقفه من الحياة برمتها وينسحب عليه، وهو إذ يرى الخواء في علاقته بمحبوبته ينتقل إحساسه الهدمي إلى العالم حوله، ولا يعود يرى لحياته معنى، ويُزهق روحه لهذا السبب، طالما أنه في يوم من الأيام سيموت حتما، فليكن الآن أفضل من الغد الذي سيأتي بالمزيد من الإحباط والفشل.

والأطفال يمكن أن يقوموا بالانتحار. والطفل **دون العاشرة** لا يعرف حقيقة الموت ويرتبط عنده بموت شخص معين، ولكنه **بعد العاشرة** يدرك أن الموت يعني توقف الحياة في الجسد، وأن الجميع ميتون. **والأطفال لذلك لا ينتحرون إلا بعد العاشرة**. ويصف **توماس هاردي** وصفاً بارعً في روايته **تيس** كيف قتل ابنها نفسه وإخواته الصغار شنقا. والأطفال ينتحرون بسبب الحرمان من الحب والعطف والحنان، ولأنهم يعانون نتيجة شجار الأبوين أو انفصالهما، وزواج كل واحد منهما، وضغوط البيت التي تترتب على انشغال كل من الأم والأب

بنفسه، أو إدمان الأب على المخدرات أو الخمر. والطفل الذي ينتحر إنما يفعل ذلك كرد فعل لموقف أمه النابذة. وانتحار الأطفال يكون بتناول المسكنات أو السموم، وكذلك تفعل البنات والنساء، إلا أن الأطفال الذكور والرجال يختارون ميتات أعنف بالأسلحة النارية، والأدوات الحادة كالشفرات والمطاوي، أو بإلقاء أنفسهم من فوق البنايات الشاهقة أو من فوق جسور الأنهار. وتبلغ نسبة الانتحار بسبب مشاكل الحب عند الكبار نحو 30% من حوادث الانتحار كلها، وتبلغ نسبة الانتحار بسبب الحرمان العاطفي 25% .

والمنتحر الذي ينتحر لأسباب عاطفية **يكتئب** قبل الانتحار بمدة، وقد يجرب أن يكتب مذكرات يشكو فيها لواعجه أو احزانه لفراق حبيبته أو زوجته، أو ربما أمه، ويهزل ويمرض ويجافيه النوم. وهزاله ومرضه ربما عقاب يُنزله بنفسه نتيجة الرغبات المحمومة التي تحتدم به، ويفكر أن يقتل حبيبته أو حتى أمه التي يحبها، وربما تكون به رغبات تجاه أمه يدرك أنها ممنوعة ويكره نفسه بسببها. ويستوي **الطفل المنتحر** مع **البالغ المنتحر** من حيث أهدافهما من الانتحار، فلربما ينتحر أيهما هرباً من المواقف العاطفية الضاغطة التي لا يحتملها، أو مناورةً لاستجلاب عطف الآخرين أو إرغامهم على منحه حبا حرموه منه، أو قد يرقى عنده الانتحار إلى أن يكون معادلاً للاتحاد بمحبوب لا أمل في الاتحاد به في الحياة. ويروي أن **فون كلايست** الشاعر الألماني، انتحر في الرابعة

والثلاثين عند قبر حبيبته، وكتب أنه قد فعل ذلك أملا في لقاءٍ عاجل في السماء. وبذلك يضع الانتحار المفجع نهاية رومانسية لقصة حبٍ مثاليٍ غير متكافئ غالبا، أو نهاية نرجسية يتحقق للمنتحر بها إشباع رغبات ماسوشية مستعمرة فيه.

ويقول علماء النفس بأن هناك **سلوكا انتحاريا**، يلجأ إليه البعض كبديل عن الانتحار الصريح، فعندما تُلّح المشاكل العاطفية وتستبد بالشخص، فقد يبدأ بارتكاب أخطاء من شأنها أن تعّرض حياته للخطر، كأن يكون عاملا أمام ماكينة فينسى نفسه بحيث تقطع الماكنة إصبعا أو ذراعا له، ورغم أن هذا الفعل منه يبدو كما لو كان لا دخل له فيه، إلا أنه في الواقع يصدر عن دافع داخلي لتدمير نفسه. وقد يتصرف الفاشل في الحب مثلا بحيث إذا استخدم سكينا، أو تناول شفرة، فإنه يجرح نفسه. وقد يتصرف بحيث يجعل السيارات تصدمه، أو يجعل من نفسه مغفلا فيغرر به الناس فيستحق اللوم ويلحقه العار.

والسلوك الانتحاري، سواء كان محاولة صريحة للانتحار، أو تصرفا معادلا، قد يأتيه الطفل أو البالغ عن **شعور بالوحدة**، وما يستحدثه فيه **الجوع العاطفي**. وقد ينتحر الطفل في **مناسبة سعيدة** كعيد الأم. لأنه قد حرم أمه، فيستجيب للمناسبة بالانتحار. وقد يتوهم الطفل أنه لو كانت أمه حية ترزق لكان أسعد حالا، فيطلب أن يرتحل إليها ويريد الموت ليجمعه بها. وقيل في تفسير هذه الحالة أنها

أعـراض فصـامية خاصـة إذا كانـت محاولـة الانتحـار اسـتجابة لهلوسـات سمعيـة، تـأمر الصـغير بالـذهاب إلى أمـه المتوفـاة في السـماء أو مـا شـابه ذلك.

وقد يلجأ المراهق أو الطفل للانتحار **ثاراً** من أبويه، **وعقاباً** لهما بالقلق عليه، وقد يكون الانتحار **عقابا** يوقعه بنفسه وكان المقصود به الأبوين، وربما تكون محاولة الانتحار بمثابة **رسالة احتجاج** فحواها أنكما تخليتما عني ونبذتماني وهأنذا أتخلى بدوري عنكما وأنبذكما. وقد يكون أحـد الأبـوين لـه تـاريخ في الانتحـار، فيتعـين الطفـل بـه، ويقبـل علـى الانتحار تخلصاً من قلق يستبد به، مخافة أن ينجح هذا الأب أو هذه الأم في محاولـة انتحـاره أو انتحارهـا فيفقـده أو يفقـدها. وقـد يلجـأ **الأطفال المتخنثون** إلى التخلص من انحرافهم بالانتحار.

ونسـبة الانتحـار عنـد الكبـار كنسبة واحد إلى عشرة آلاف، وتزيد نسبة **انتحار النسـاء** في العقد الثالث، وترتفع في **سن اليأس** أي بـين الأربعـين والخامسـة والخمسـين. ويزيـد الانتحـار عنـد **المطلقـين والمطلقات**. وقد يقبل **المنحرفون جنسيا** على الانتحار إذا تسبب انحرافهم في مشاكل عائلية ووظيفية ومشاكل مع الشرطة والناس.

وقيـل إن الكثير مـن انتحـار المحبين بسبب **التقليـد**، كـأن يوجـد **جسر مشهور** يلقون بأنفسهم من فوقه، فيوحي لهم بفكرة الانتحار إذا يئسوا من الحب، فيقلدون من سبقهم إليه. وقد يكون هناك من سبق

المنتحر إلى الانتحار من عائلته أو معارفه في حالات كحالته، فيتعين المنتحر به ويقلده. وقد يكون التقليد عاما كحالات الانتحار الجماعي، ونذكر منها حالة مانسون والمجموعة التي تابعته من الذكور والإناث. وقد تسنّى تحليل خطابات الكثير من المنتحرون وصنّفت بحسب أسبابها، فكان منها ما أمكن ردّه إلى الشعور بالوحدة، والجوع العاطفي، وفقد الزوجة أو الزوج، أو المعاناة الصحية كالعجز الجنسي، والخوف من المستقبل بعد وفاة الزوجة أو الزوج. وقد يكون هناك ضغط نفسي على المنتحر ليفقد صوابه ويلجأ إلى الانتحار، وفي **مسرحية الأب لسترندنبرج** تشكك الزوجة زوجها في ابنتهما، وتحاصره بالوساوس حتى ينهار وينتحر. ويوصف هذا النوع بأنه **قتل نفسي**. وقد يحدث في بعض المواقف في القتل العادي أن يستثير الضحية المجرم لقتله، كأن تعطي الزوجة زوجها السكين ليقتلها في تحدّ ظاهر، فيفعل ذلك على الحقيقة. ويحلل بعضهم موقف الزوجة بأنه **سلوك استثاري** تغيظ به زوجها وتستعديه عليها وكأنها تطلب به أن تنتحر. وقد يلجأ الزوج المطعون في كرامته، أو شرفه، أو حبه إلى أن يضرب نفسه بالسكين في مواضع غير القلب، بقصد إيذاء نفسه وليس قتلها، وذلك أيضا ضرب من السلوك الانتحاري. ومن الخطأ الشائع أن يقال إن الانتحار لا يمكن التنبؤ به، وأن المنتحر يفاجئ أهله بالانتحار، ففي 70% من حالات الانتحار تكون للمنتحر الهيئة والكلام الذي ينُبئ بإقدامه على

الانتحار. ويكاد يكون هناك إجماع على أن **فترة احتضان الانتحار** قد تمتد إلى نحو ثلاثة شهور. وفي الحالات التي نبحث فيها من حيث علاقة الجنس بالانتحار، فإن المنتحر لأسباب جنسية قد يكُثر من ترديد عبارات كهذه وما فائدة العيش بعدها، وهل بعد ما فعلته معي يمكن أن أواجه الناس ، أي عارٍ فيما فعلته! هكذا هكذا !! تجلبين علي العار!. فإذا استقر على الانتحار فإن المنتحر يعتزل أهله والناس، ويبدو عليه السهوم والتفكير الشديد، ويقل طعامه وينام نوما عميقا، ويتصرف كما لو كان يعد نفسه لرحلة طويلة، وقد يسلّم على الناس ويشكرهم لمعاملتهم الطيبة ويطلب إليهم أن يسامحوه، وقد يكثر من زيارة قبر محبوبته أو أمه، وقد يصلّي في استغراق، وقد يكتب رسالة. وينبئ كل ما يكتبه المنتحرون قبل إقدامهم على الانتحار بما سيفعلونه. وبتحليل ما يكتبونه نستخلص للوهلة الأولى **اليأس الكامل**، وأن الانتحار هو الحل الوحيد لمشاكلهم، غير أنه في الحالات العاطفية للانتحار فإنه قد يتبين أن نحو 50% فقط تنعقد نيتهم على الانتحار، إلا أن نحو **ثلثي المنتحرين** لا يرغبون فيه فعلا، ولكنهم يحاولونه كتهديد لأهلهم وذويهم وأصدقائهم، وأكثر ما يكون ذلك عند النساء، فما أسهل أن تُقدم امرأة على تهديد من تحب بالانتحار، غير أن الأمور يمكن أن لا تسير كما تهوى، ويؤخذ من حالة **سميرة مليان** التي أقدمت على الانتحار في شقة الملحن **بليغ حمدي**، والتي اشتهرت حادثتها، أنها ما

كانت تريد الانتحار فعلا، ولكنها تهدد به فانقلب جدّاً. وكانت زوجة الكاتب الروسي **الأكبر تولستوي** تهدده يوميا بالانتحار، ولم تكن تتهيأ لها الظروف التي تجرّب فيها ما تهدد به.

والعلاج النفسي للحالات التي يصر أصحابها على الانتحار لأسباب عاطفية، يكون بطمأنة الشخص ومساعدته عاطفيا، وتجنيبه كل ما يمكن أن يفهم منه عدم فهم المحيطين به لمشكلته وعدم تعاطفهم معه. ويقوم **العلاج السلوكي** لهذه الحالات بمحاولة مساعدة الشخص على فهم مشكلته وأن يتحقق من ان الانتحار لا يحلها، ولكن حلها يكون بسلوك آخر يختاره بنفسه كسلوك هادف وله فائدة ونتيجة. ويتوجه **العلاج الوجودي** إلى محاولة أن يتوصل الشخص إلى معنى جديد لحياته، بظروفه الجديدة، فيجرب من جديد، ويحاول باستمرار.

وكان برتراند رسل يقول إن الجنس لازم لحياة كل منا لزوم الطعام، وبدون الجنس والعواطف قد يستطيع الإنسان أن يعيش الحرمان، ولكن لا يمكن إلا أن يكون له مردود سيئ على تفكيره وفهمه للحياة، والجوعان جنسيا أو عاطفيا لا يفكر تفكيراً صحيحا أو صحيا، وعنده تهون كل مشكلة إلا **مشكلة القلب والفرج**، وهو إذ يمنع عن الجنس، أو يحال بينه وبين أن يعيش حياة جنسية أو عاطفية مشبعة يمكن أن يأتي من التصرفات ما لا يمكن التنبؤ به، ومثلما **الجسد** له ما يحتاجه من غذاء، فإن **الوجدان** قد يذبل ويمرض ويصيبه السقام إذا لم

يرتو عاطفيا. والحب قيمة من أجل القيم وأخطرها، وينبغي أن يشملها التعليم بواقعية، ولم يكن تناولها بمثالية إلا سببا لإيراد أصحاب هذا الاتجاه المثالي موارد التهلكة، وإذا تعلّمنا في بيوتنا ومدارسنا، أن للجنس أخلاقيات، وأن أخلاقيات الجنس أو القيمة الجنسية، ليست إلا واحدة من الأخلاقيات والقيم العديدة في الحياة، وأن السعادة في حياة لا بد لها من قيم من نوع ما، وليست القيمة الجنسية أو الأخلاقيات العاطفية إلا مجالا من مجالاتها وليست كل المجالات، يقول رسل لو حدث ذلك لأمكن تحاشي الانتحار الذي سببه الجنس أو المشاكل العاطفية.

التوافق في الحب والزواج
التوافق النفسي / الجنسي

التوافق في الحب أو في الزواج علاقة موائمة وتكيّف بين الخطيب وخطيبته، أو المحب ومحبوبته، أو الزوج وزوجته، فيستطيع أي من هؤلاء أن يستوفي حاجاته من الآخر ويشبعها، وأن ينهض على ما يطلبه منه الآخر، وأن يواجه الظروف التي تحيط بهما أو تُفرض عليهما لصالح استمرار علاقة المحبة أو الزواج. وقد تجعله الرغبة في التوافق يعدّل من سلوكه أحيانا، وقد تمتد محاولات التعديل إلى البيئة نفسها، فيقارب بين إمكاناته وظروف البيئة أو المحيطين به من الأهل والأصدقاء، فإذا نجح في ذلك فإننا نصفه بأنه إنسان متوافق. والفشل في تحقيق ما سبق هو **عدم التوافق**، وقد يدفعه عدم التوافق إلى أن يقتل نفسه، وعدم التوافق هو الذي يُكرِه العشاق والمحبين على الانتحار. وقد لا يفشل المحب ولكنه يحقق نجاحاً محدودا، وتظل علاقته بمحبوبته أو بزوجته داخل إطار معين، فلا هي بالمقطوعة ولا هي بالموصولة، وعندئذ نقول إنها علاقة تتسم **بسوء التوافق**. وسوء التوافق في علاقات الأزواج والمحبين هو

المسئول عن الاضطرابات السلوكية التي تجري بينهم، وقد يصابون منه باضطرابات نفسية لا تجعل تصرفاتهم تبدو سوية.

والزوجان أو المحبان اللذان يعيشان في توافق نفسي، تجدهما في نعمة حقيقية وسعادة يحسها كل المحيطين بهم، فأولاً تشعر الزوجة أو الحبيبة أنها تثق في زوجها أو حبيبها، وأنها في كَنَفه في أمان، وبه أو بها يزيد إحساس كل منهم أنه صار أفضل مما كان، وأن احترام الناس قد زاد له، وان تقديره لنفسه قد كبر، وكفاءته ارتفعت، وأنه قد صار محل اعتزاز ومحبة من الآخرين.

والتوافق في الحب أو الزواج لا يمكن أن يتأتى على أساس من المعرفة الخاطئة بالمجتمع أو بالنفس، فقد يحسب المحب أنه متوافق مع محبوبه وذلك بناء على معرفة خاطئة أو مغلوطة بالمحبوب. وقد يترتب على ظن التوافق أن تستنفر الضغوط الواقعة على الطرفين من بعضهما دفاعات الأنا، فيتصدى الأنا لهذه الضغوط أو الشكوك أو الخلافات، باستجابات تحاول أن تستحدث التوافق أو تطيل أمده، ومن ذلك **إنكار** المحب للواقع أو **تجاهل** الزوج لما وصلت إليه حالة أسرته، أو **إغفال** الزوجة لإهمال زوجها لها، أو **هرب** الزوجة من المشاكل مع زوجها إلى عالم متُخَيل، وقد تدفن أحزانها وسوء توافقها في هواية من الماضي كالمطبخ، أو تنصرف تماما إلى التحصيل الدراسي إلى أن تحصل على الدكتوراه مثلا، وقد تهوى الثياب، أو قد **ينكص** أيهما إلى

استجابات من الماضي كانت ناجحة يوما فيكررها الآن مع أنها لا تصلح للمواقف الجديدة، ومن ذلك ما نشاهده مثلا من ترفّع الزوجة على زوجها، وتصرفاتها معه بحيث تشعره أنه كان يوما موظفا صغيرا عند ابيها، برغم أنه الآن صاحب شركة مثلا ومرموق اجتماعيا. وقد **يكبت** الزوج رغباته ويلغي أفكاره دون أن يدري هربا من الواقع.

ومن التوافق بين المحبين والأزواج أن **يتعين** الواحد منهما بأهداف الآخر ومعتقداته وتقاليده وأعرافه، ويقوم الحب والزواج الناجح على الفهم المتبادل والتفاهم المستمر وما من زوجة أو زوج يلجأ إلى الكذب أو أية حيلة غير سوية إلا لأنه يستشعر أن زواجه في خطر، ولكنه يستجيب بدفاعات غير سوية لأنه أخفق في التوافق مع ظروف زواجه، وليس الطلاق إلا وسيلة متطرفة ضد **الإخفاق في التعويض** عن التوافق في الزواج.

وقد يؤدي **الإخفاق في التعويض عن التوافق** في الحب أو في الزواج إلى المغالاة في التصرفات، حتى ليستحيل الشخص إلى عصبي، وكثيرا ما نردّ سوء التصرف والعصبية الظاهرة في الزوجات أو الأزواج إلى تأثير سوء التوافق في الزواج أو الحب. وليس أظهر للسمات الخُلُقية للشخص، أو للتداعي النفسي بالاضطرابات الهستيرية أو الاضطرابات النفسية الجسدية، من سوء التوافق في الحب والزواج، فمثلا قد يتأخر حل الزوجة، وتحت وطأة الكلام الكثير من أهل الزوج قد تأتيها أعراض

الحمل الكاذب، أو تتداعى بأعراض تُشبه الصرع، أو تنسى كثيرا. وقد يؤدي سوء التوافق بالزوج إلى أن تتحول وسائله الدفاعية إلى **دفاعات ذهنية**، فيشك في زوجته وينسب إليها الخيانة. ومثل هذا الزوج يحاول بهذه الطريقة أن يكون له **واقع متوهم** يعوضه عن الواقع الأصلي، أو يدفع به عما قد تبقي له من تكامله النفسي. وهو عندما ينسب الخيانة لزوجته يدفع عن نفسه التقصير أو النقص، واعتقاده هذا قد يجعله يشعر أنه كفء وقد يساعده ذلك على أن يستشعر بعض التكامل. وقد تكبت الزوجة ما بنفسها ولا تصرح به إلى أن تنهار تماما وتدفع الثمن من صحتها النفسية.

والإخفاق في التعويض عن التوافق الذي يُمَنَّى به الأزواج والمحبون كثيراً قد يصيبهم منه الإنهاك النفسي، حتى أن **الأنا** قد ينفرط تماما بسبب هذا الإنهاك النفسي، فيلجأ المحب إلى إطلاق الرصاص على حبيبته، أو قد تطلق الزوجة بالرصاص على نفسها، أو ينتحر الزوج، أو يصاب أيهما بالذهول عمّا حوله وتكون بهذا الذهول نهاية حياته. وليست شكوى الكثير من الزوجات من حالات **الإنهاك النفسي** إلا بسبب التوترات المستمرة مع الزوج. والمريضة **بالنهك العصبي** تحس أنها واهنة وعاجزة عن بذل أقل الجهد، ويؤلمها ظهرها، ويجافيها النوم، وربما كان ذلك لشعورها بأن زوجها يخونها، أو أنه متزوج بأخرى، وانعدام الأمان يترتب عليه العيش في قلق مستمر.

ومن الاضطرابات التي يمكن أن تصيب الزوجة من جراء سوء التوافق ما يقال له ذهان **ربة البيت**، وهو حالة تتردى إليها بعض الزوجات نتيجة الفشل في الحب والزواج، فتفنى نفسها في البيت، وتظل تعمل فيه من بواكير الصباح حتى النوم دون كلل، وذلك ما يوصف بأنه **إفراط في التعويض عن التوافق.**

